

الرقم التسلسلي: —  
رقم التسجيل :

## الموضوع:

محلات جمع الضرائب في الجزائر العثمانية وأثرها على الساكنة  
بايلك الشرق أنموذجا

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في: التاريخ  
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث ( 1519-1830 )

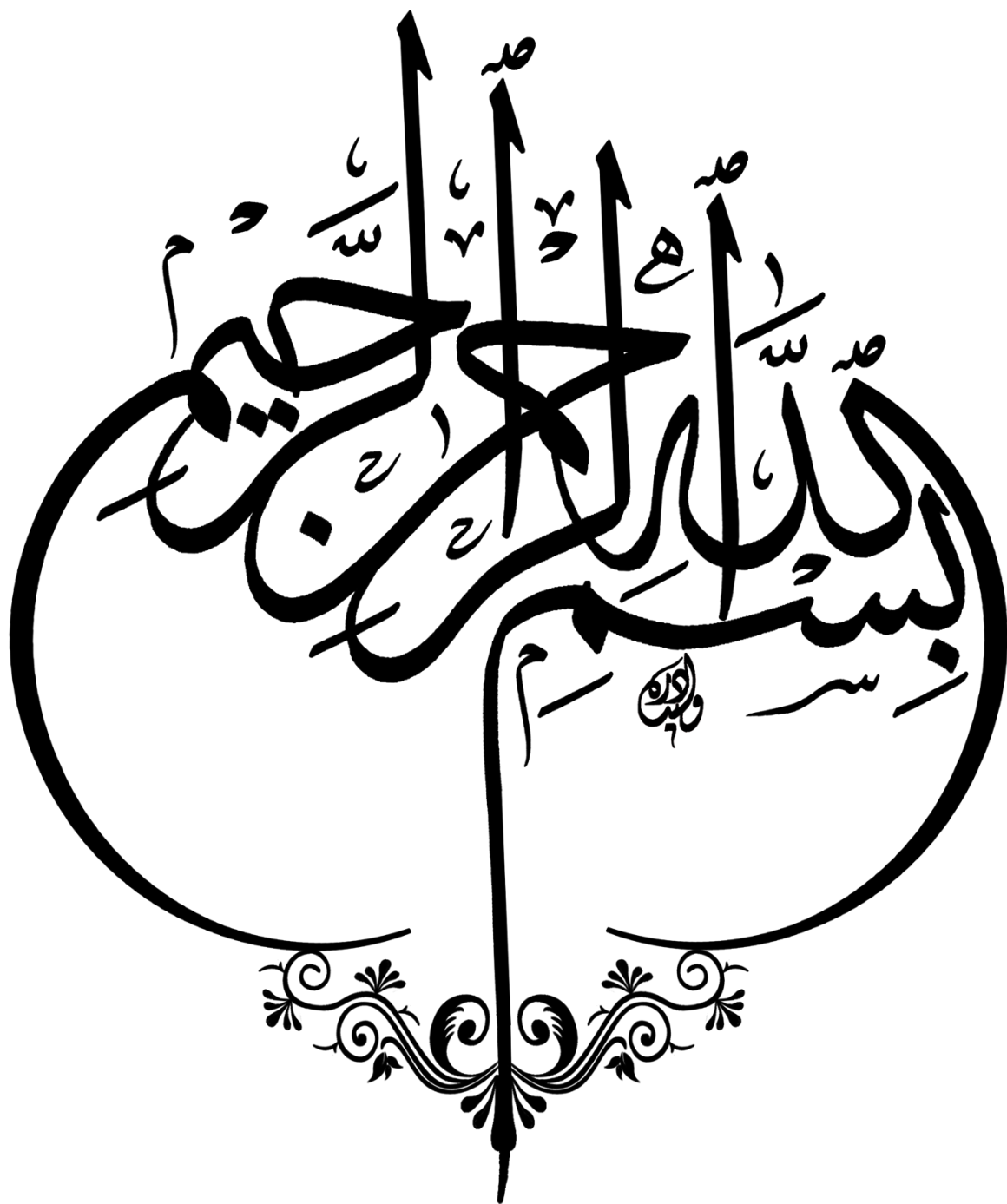
إعداد الطالبة:

■ نعيمة زواوي

تاريخ المناقشة: ...../...../2026

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

| الاسم واللقب | الرتبة العلمية | المؤسسة       | الصفة        |
|--------------|----------------|---------------|--------------|
| .....        | .....          | جامعة المسيلة | رئيسا        |
| أ. محاضر . أ | .....          | جامعة المسيلة | مشرفا ومقررا |
| .....        | .....          | جامعة المسيلة | مناقشا       |



# شكر وعرفان

□

[قال رسولنا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

□ نحمد الله على توفيقه لنا دائما لإتمام هذا العمل، فلولا توفيقه لما وصلنا إلى هنا

نتقدم بحزبيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف أ. د/ بن رحال يمينه على

جهودها الجبارة وصبرها الطويل معي وعلى توجيهاتها ومعلوماتها القيمة التي

ساهمت في إثراء موضوع دراستي فجزاها الله عني خير الجزاء

□ كما أتقدم بحزبيل الشكر إلى اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة مذكرتي

□ كما أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم التاريخ

والى كل من ساهم معي من قريب أو بعيد وقدم لي يد العون

□ في هذا العمل

□



## إهداء

نهدي هذا العمل:

-إلى من أوصانا بهما برا وإحسانا ،وسمرا على تعليمنا وحثنا  
إلى الدراسة و أناروا لنا الطريق و ضحوا من أجلنا الوالدين  
العزيزين.

\*كما نهدي ببحثنا إلى أفراد الأسرة الأخوة و الأخوات.

-من ساندنا في أفراحنا و أحزاننا الأصدقاء  
-إلىكم جميعا هذا البحث من بستان العلم.

مقدمة

## المقدمة :

لم يكن التواجد العثماني في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر (1519م) مجرد وجود عسكري عابر لحماية السواحل من الهجمات الإسبانية فحسب، بل رافقته سياسة محكمة استطاعت بها الصمود في وجه التيارات المعادية لأكثر من ثلاث قرون، وسنحاول في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على جانب مهم في سياستها داخل الإيالة وهو الجانب الاقتصادي، برزت المنظومة الجبائية والضريبية كعصب فاعل ومحرك أساسي لسياسة الإيالة، ولا سيما في "بايلك الشرق" (وعاصمته قسنطينة) الذي شكل أكبر مقاطعات الجزائر مساحةً وأكثرها تعقيداً من الناحية السكانية والقبلية. وفي صميم هذا النظام المالي، ظهرت "محلات جمع الضرائب" كأداة تنفيذية وعسكرية متنقلة تضطلع بمسؤولية إخضاع المجموعات المحلية وجباية الأموال والضرائب. وفي هذا السياق المعرفي، تنتزل دراستنا الراهنة لتسليط الضوء على "محلات جمع الضرائب في الجزائر العثمانية وآثارها على الساكنة" مستندةً إلى القراءة التحليلية والنقدية للبنى الاقتصادية والاجتماعية في بايلك الشرق.

وحاولنا من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على محلات جمع الضرائب العثمانية وآثارها على الساكنة من ( 1519 إلى 1830) محلة بايلك الشرق أنموذجاً

من دواعي اختيارنا لهذا الموضوع نذكر : الرغبة في معرفة المزيد حول التاريخ العسكري والاقتصادي إبان العهد العثماني وما دور المحلة فيه؟  
الرغبة في معرف الضرائب التي تفرض على سكان الريف القسنطيني وآلية جمعها من طرف المحلة .

إبراز الأثر الذي خلفته سياسة الضرائب المعتمدة من طرف السلطة العثمانية في الجزائر ؟  
تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمعرفية المحددة:  
التعرف الدقيق على ملامح ومعالم المنظومة الضريبية بالجزائر العثمانية عموماً وبايلك الشرق خصوصاً.

تحليل مستويات وأشكال تأثير محلات جمع الضرائب في مختلف الأوساط الحضرية والريفية.

تتبع حركة الساكنة المحلية من فلاحين وبدو ورصد مسارات إنتاجهم الاقتصادي وتحولاتهم المعيشية تحت وطأة الجباية.

بيان الدور البنوي للمؤسسات الإدارية والمخزنية العثمانية في ضبط وتوجيه الموارد المالية للإيالة.

تسليط الضوء على طبيعة التفاعل والتصادم بين السلطة والقبائل، وأثر تلك العلاقة في رسم الخارطة السياسية للبايلك.

تمثل الفترة التاريخية للعهد العثماني في الجزائر مرحلة حاسمة تميزت بأنماط خاصة من الجباية وإدارة الأرياف والقبائل، حيث ان الحياة الاقتصادية والاجتماعية للساكنة كانت تتأثر بالمتغيرات

فإن النظام الضريبي لم يكن بمعزل عنها بل تفاعل معها من هذا المنطلق تتبلور الإشكالية المحورية للدراسة في التساؤل الجوهرى الآتى:

كيف نظمت محلات جمع الضرائب في بايلك الشرق خلال العهد العثماني وما طبيعة الضرائب التي كانت تجبى؟ وكيف أثرت المحلات والسياسات الجبائية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان ؟

وينبثق عن هذه الإشكالية المركزية حزمة من التساؤلات الفرعية الموجهة للبحث:

ما المقصود بمحلات جمع الضرائب في الجزائر العثمانية؟

ما الاسس الجغرافية والادارية التي قام عليها بايلك الشرق وأثرت على المنظومة الجبائية؟

ما طبيعة المحلة بوصفها المؤسسة المحورية للجباية وما عناصرها وانواعها؟

ما أنواع الضرائب المطبقة في بايلك الشرق وما محطات تحصيلها وآلياتها ؟

ما الآثار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أفرزتها الجباية على الساكنة ؟

وقد ارتأينا ان نقسم بحثنا هذا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق

الفصل التمهيدي / الإطار الجغرافي والإداري لبايك الشرق ، واحتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث

فالمبحث الأول المجال الجغرافي والاقتصادي لبايك الشرق أما المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى التنظيم الإداري والسياسي لبايك الشرق و المبحث الثالث درسنا فيه العلاقة بين بايك الشرق والسلطة المركزية

بينما الفصل الاول فقد تطرقنا إلى تشكيل المحلة وعناصرها فقسم بدوره الى ثلاث مباحث المبحث الأول تعريف المحلة وتنظيماتها أما المبحث الثاني الذي يحتوي على نشأة المحلة وتطورها التاريخي في بايك الشرق أما المبحث الثالث فتتدرج تحته أنواع المحلة وعناصرها وفي الفصل الثاني انتهجنا فيه السياسة الضريبية في بايك الشرق فالمبحث الأول درسنا انواع الضرائب المطبقة في بايك الشرق، المبحث الثاني الفرق الضريبي بين المدينة والريف والمبحث الثالث ففيه الصعوبات الجبائية أما الفصل الثالث نجد فيه انعكاس السياسة الاجتماعية على الوضع الاقتصادي والاجتماعي المبحث الاول ظهور تمردات وثورات أما المبحث الثاني ففيه تأثيرها الاجتماعي على السكان والمبحث الثالث تأثيرها على العلاقات بين السلطة العثمانية والسكان

أما الإطار الزمني: تمتد الدراسة من مطلع القرن 16 حتى نهاية العهد العثماني سنة 1830م، وهي المرحلة التي بلغ فيها بايك الشرق نضجه المؤسسي وبلغت منظومته الجبائية أعلى درجات التطوير والتنظيم .

والإطار المكاني: بايك الشرق وعاصمتها قسنطينة وامتداده نحو عنابة وسوق أهراس وتبسة والهضاب العليا وحدوده الشرقية مع الإيالة التونسية .

أما المنهج المتبع في الدراسة فقد اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي المناسب لسرد الأحداث التاريخية وأيضاً اعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي المناسب لدراسة الوقائع ومناقشتها وربطها ببعضها البعض بالوصول إلى استنتاجات لإحكام جزئية وعامة .

فقد اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع فنتعرض إلى ابرازها فمن المصادر التي اعتمدنا عليها الصالح بن العنتري " الفريدة مؤنسة في حال دخول الأتراك بلاد قسنطينة واستيلائهم عليها الذي أفادنا في معرفة حدود البايك القسنطيني وأعمال بعض من باياتها مثل صالح باي ومن المراجع نذكر سلسلة ناصر الدين سعيدوني التي أفادتنا في إعداد هذا البحث " كتاب النظام المالي "أواخر العهد العثماني" بالإضافة إلى " كتاب الملكية الجبائية في الجزائر أثناء العهد العثماني "

أما صعوبات البحث التي واجهتني فلم يكن خوض غمار هذا البحث بالأمر الهين؛ بل واجهت الدراسة عوائق موضوعية تم تخطيها بالصبر وبإشراف وتوجيه من الأستاذ المشرف، وأبرز هذه الصعوبات:

ضييق الوقت: وصعوبة التوفيق المستمر بين التزامات العمل ومتطلبات البحث الأكاديمي وصياغة المذكرة والتحصيل الميداني للمادة التاريخية.

التفاوت الجغرافي في المادة العلمية الأرشيفية: حيث تركز التوثيق المالي والسجلي حول مركز البايك (قسنطينة) وحواضر كبرى معينة، في حين حُرمت بعض الأوطان والقبائل الريفية والعمق الصحراوي من نفس التغطية التوثيقية المفصلة.

قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تناولت محلات جمع الضرائب في بايلك الشرق إذاً غالباً ما ترد المعلومات المتفرقة ضمن دراسات أوسع عن النظام الجبائي ، ندرة المصادر الأصلية المحلية المتعلقة بالجباية والمحلات جمع الضرائب في بايلك الشرق ، اتساع المجال الجغرافي لبايك الشرق وتنوع القبائل والمناطق التابعة له .

# الفصل التمهيدي

## الإطار الجغرافي والإداري لبايك الشرق

المبحث الاول : المجال الجغرافي والاقتصادي لبايك الشرق

المطلب الاول : الموقع الجغرافي وحدود بايك الشرق

المطلب الثاني : الخصائص الطبيعية وآثارها في النشاط الاقتصادي

المطلب الثالث : الموارد الزراعية والتجارية

المبحث الثاني : التنظيم الاداري والسياسي لبالك الشرق

المطلب الاول : نشأة بايك الشرق وتطوره التاريخي

المطلب الثاني : منصب باي وصلاحيته

المطلب الثالث : الجهاز الإداري والمالي

المطلب الرابع : العلاقة بين بايك الشرق والسلطة المركزية في الجزائر

## الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي و الإداري لبايك الشرق

لا يمكن دراسة النظام الضريبي في باييك الشرق بمعزل عن البيئة الجغرافية والإطار الإداري الذي نشأ فيه؛ إذ يُشكّل الفضاء الجغرافي المحدد الأول لطبيعة الموارد وأنواع الضمروفوضه، كما يرسم التنظيم الإداري الهيكل الذي تسير من خلاله عمليات الجباية وتوزيع الثروات. وقد أولى المؤرخون المهتمون بتاريخ الجزائر العثمانية اهتماماً بالغاً بهذا الإطار، إذ يرى سعيديوني أن فهم البنية الجغرافية والإدارية للبايلكات هو المدخل الضروري لأي دراسة جادة في تاريخ المؤسسات الجزائرية خلال العهد العثماني<sup>1</sup>

ومن ثمة، يُعدّ هذا الفصل البوابة الأساسية لفهم الفصول اللاحقة، لأنه يُرسي القاعدة المعرفية التي تُبنى عليها التحليلات الاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بمنظومة الجباية وأثرها في الساكنة. وقد حظي باييك الشرق باهتمام عدد من الباحثين الجزائريين والأجانب، غير أن معظم الدراسات اكتفت بتناوله ضمن السياق العام للجزائر العثمانية، دون التعمق في خصوصياته الجغرافية والإدارية التي تميّزه عن باقي البايلكات. ويُحاول هذا الفصل تجاوز هذا القصور عبر مقارنة شاملة تجمع بين التحليل الجغرافي والمؤسسي<sup>2</sup>.

### المبحث الأول: المجال الجغرافي والاقتصادي لبايك الشرق

#### المطلب الأول: الموقع الجغرافي والحدود

يقع باييك الشرق في الجزء الشرقي من إيالة الجزائر العثمانية، ويُعرف أيضاً بـ "باييك قسنطينة" نسبةً إلى عاصمته، تلك المدينة التي تربّعت على صخرة شامخة فوق وادي الرمال. وقد أعطى هذا الموقع الاستراتيجي للباييك طابعه المميز بين سائر الوحدات الإدارية، إذ جمع بين الحصانة الطبيعية والإشراف على طرق التجارة الرئيسية في المنطقة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيديوني. النظام المالي في أواخر العهد العثماني ( 1792-1830)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987، ص44.

<sup>2</sup> فلة القشاعي. النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في تاريخ الحديث ، جامعة الجزائر 2009-2010، ص 22.

<sup>3</sup> الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، ص72.

وتحدّ بايلك الشرق من الشمال مياه البحر الأبيض المتوسط بشريطه الساحلي الممتد من جيجل حتى عنابة، ومن الشرق الحدود مع الإيالة التونسية التي كانت علاقاته بها تتأرجح بين التعاون والتنافس تبعاً للظروف السياسية والمصالح الاقتصادية. ومن الجنوب تمتد الأراضي الصحراوية التي تفصله عن الجنوب الكبير، في حين يحده من الغرب بايلك التيطري وإقليم دار السلطان (الجزائر العاصمة) <sup>1</sup>

وقد كانت هذه الحدود في أغلب الأحيان حدوداً إدارية متحوّلة لا حدوداً جغرافية صارمة، وكان تحديدها الدقيق يتوقف على موازين القوى بين البايات والقبائل في كل مرحلة تاريخية. تميّز بايلك الشرق بتنوع جغرافي استثنائي نادراً ما يتجمّع في وحدة إدارية واحدة؛ فمن الشمال تمتد السهول الساحلية الخصيبة، ثم تتعاقب سلاسل جبال الأطلس التلي بارتفاعاتها المتوسطة، لتفضي جنوباً إلى الهضاب العليا الشاسعة التي طالما كانت ملاذ القبائل الرعوية ومرتباً لأهم التجمعات البشرية، ثم تنتهي المنطقة في حزام من التضاريس شبه الجافة المتاخمة للصحراء <sup>2</sup>.

وكانت أبرز المدن الواقعة ضمن نطاقه الجغرافي: قسنطينة بوصفها العاصمة الإدارية والتجارية، وعنابة (بونة) بوصفها المنفذ البحري الرئيسي للبايلك على البحر المتوسط، وسكيكدة، وسوق أهراس، وتبسة، وباتنة، فضلاً عن عشرات المراكز القبلية والريفية المنتشرة في الداخل. وتجدر الإشارة إلى أن قسنطينة لم تكن مجرد مركز إداري، بل كانت عقدة الطرق التجارية والمحور الذي تلتقي فيه مصالح القبائل والتجار والإدارة، مما جعل موقعها الاستراتيجي رافداً أساسياً لثروة البايك ومكانته بين البايكات الجزائرية <sup>3</sup>.

### المطلب الثاني: الخصائص الطبيعية وأثرها في النشاط الاقتصادي

أسهمت التضاريس المتنوعة لبايك الشرق في تشكيل منظومة اقتصادية متعددة الأوجه، إذ

<sup>1</sup> سعد الله، أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (الأجزاء 1-3). بيروت: دار الغرب الإسلامي. 145

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 45.

<sup>3</sup> فلة القشاعي، المرجع السابق، ص 23.

أوجدت كل منطقة جغرافية نمطاً إنتاجياً مختلفاً، وبالتالي قاعدة ضريبية متباينة. ويُميز المؤرخون عادةً بين أربع مناطق طبيعية رئيسية داخل البائلك، لكل منها خصائصها الاقتصادية وإشكالياتها الجبائية)<sup>1</sup>:

أ — المناطق الساحلية والسهلية: تميّزت بانتشار الزراعة المستقرة المعتمدة على الحبوب كالقمح والشعير، وزراعة الزيتون وأشجار الفاكهة والكروم. وكانت هذه المناطق الأكثر خضوعاً للسلطة المركزية نظراً لاستقرار ساكنتها وسهولة بسط الرقابة عليها، مما جعلها المصدر الأكثر انتظاماً لحصيلة الضرائب الزراعية. وقد كان سهل عنابة وسهل قسنطينة من أخصب الأراضي الزراعية في شمال أفريقيا، مما جعل صادرات الحبوب عبر ميناء عنابة مصدراً لا غنى عنه لخزينة البائلك.

أما عن المناخ السائد في هذه المنطقة فتميز في باعتدال في درجة الحرارة وارتفاع متوسط تساقط يزيد غالباً 700 ملم .

ب — المناطق الجبلية: اتسمت بالطابع الغابي الكثيف، ولا سيما جبال جرجرة وجبال الببيان<sup>2</sup> والأوراس التي تُمثّل حاجزاً طبيعياً فاصلاً بين التل والهضاب. وسادت في هذه المناطق الزراعة المعيشية، والرعي، وتربية المواشي، وصناعة الحرير البدائية. وكان سكانها من القبائل الجبلية التي اشتهرت باستقلاليتها وصعوبة إخضاعها للجباية المنتظمة، مما اضطر السلطة أحياناً إلى الاعتماد على التفاوض السياسي أو اللجوء إلى القوة العسكرية بدلاً من أدوات الضبط الإداري التقليدية. ويُشير سعيدوني إلى أن القبائل الجبلية في شرق الجزائر كانت تُمثّل التحدي الأكبر أمام سلطة البايات في تحصيل الضرائب بانتظام<sup>3</sup>

ج — الهضاب العليا: شكّلت المحور الرئيسي للنشاط الرعوي، حيث انتشرت قبائل التل

<sup>1</sup> محمد صالح بن العنتري، فريدة مؤنسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم عليها، يحيى بوعزيز الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص17.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص46.

والصحراء في <sup>1</sup> هجرات موسمية منتظمة (النجعة) بين شتاء السهول وصيف الهضاب. وكانت ضريبة الأنعام وما يُعادلها في النظام العثماني المصدرَ الأبرز للعائدات الجبائية في هذه المناطق. وقد كانت قبائل مثل بني عامر والحنانشة والناماشة أبرز التجمعات البشرية التي تسكن هذه الهضاب وتُشكّل قاعدة اقتصادية وبشرية مهمة للبابك).<sup>2</sup>

د — المناطق الحدودية الجنوبية: كانت تحت سيطرة جزئية ومتقطعة، وكثيراً ما كان يُستعاض عن الضريبة النقدية فيها بتقديم الخدمات العسكرية أو إعلان الطاعة الرمزية. وقد كانت واحات الزيبان وتبسة ومحيطها تُمثّل منطقة انتقالية بين عالم التل المنتج وعالم الصحراء المتحرر من الرقابة المستمرة

كما تتميز هذه المنطقة بالجفاف وارتفاع درجة الحرارة التي تصل في بعض الأحوال 55 درجة كما تتميز بقلة الأمطار التي تكاد تنعدم في بعض المناطق وهبوب الرياح الحارة ، كما تخضع المنطقة إلى تأثيرات الضغط الجوي المرتفع مما أدى إلى الجفاف.

### المطلب الثالث: الموارد الزراعية والتجارية

في بداية كانت الدولة العثمانية تعاني من ضعف في النشاط الاقتصادي حيث أشار ذلك

يشير ستاندر الذي زار الجزائر ويتعجب من ضعف النشاط الاقتصادي في البلاد فيقول غنية وذات خصوبة وكثيرة السكان .<sup>3</sup>

ويفسر هذا الضعف بأنه ناتج عن فقدان الصناعة وانعدام النشاطات المنتجة والحواجر التي تقدمها الحكومة من أجل الاشراف على مظاهر الاقتصاد كلها ، واحتكارها بالرغم من أن الزراعة كانت المورد الرئيسي لمعيشة غالبية السكان ، الا أنها تميزت بالبساطة والبدائية وهذا الوضع

<sup>1</sup> - فلة القشاعي ، مرجع سابق ، ص03.

<sup>2</sup> - هلال حنفي :اوراق في تاريخ الجزائر دار الهدى عين ميله الجزائر 2009 ص 152

<sup>3</sup> - مؤيد محمود المشهداني /سلوان رشيد رمضان أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518/1830مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المجلد 4عدد 16نيسان 2013 ص 421/422.

أثر سلبا في مردود الأرض وكمية الإنتاج<sup>2</sup> وكانت الطرق البدائية التقليدية التي عرفتھا الجزائر من آلاف السنين هي المستعملة في الزراعة (المحراث والمنجل) وكذلك كانوا يعتمدون على مياه الأمطار لعدم توفر الخزانات والقنوات ، ولقد دأبت القبائل على حث جزء من أراضيها بينما تترك الباقي بورا وفقا لطريقة المناوبة بسبب الانهيار موسمية الجريان<sup>3</sup> .

اشتهر باييك الشرق بوفرة موارده الزراعية التي جعلته من أغنى البايكات الثلاثة عائداً ومن أكثرها ثقلاً في الميزان الاقتصادي للجزائر العثمانية. ويؤكد دumas أن الجزائر كانت تعتمد على باييك الشرق بصفة خاصة في تمويل نفقاتها العسكرية وتسديد التزاماتها نحو الباب العالي<sup>4</sup>. وتتمثل أبرز الموارد الاقتصادية للباييك فيما يلي:

1. الإنتاج الزراعي: كانت الحبوب تنصدر قائمة المنتجات، إذ كانت سهول قسنطينة وعنابة تُنتج كميات كبيرة من القمح الصلب والشعير. وكانت صادرات الحبوب عبر ميناء عنابة تجري وفق نظام احتكاري تُشرف عليه السلطة مباشرة، مما كان يُدرّ دخلاً كبيراً للخزينة ويجعل الدول الأوروبية راغبةً في التعامل التجاري مع باييك الشرق<sup>1</sup>. وإلى جانب الحبوب، كان زيت الزيتون يُنتج بكميات معتبرة في مناطق جيجل وسكيكدة وضواحي قسنطينة، ويُصدّر جزء منه إلى الأسواق الأوروبية.

وقد اكتشفت الزراعة أواخر العهد العثماني أهمية كبيرة مما أثرت على الأنشطة الزراعية لمنطقة باييك الشرق والحياة اليومية وبقية الأنشطة الحيوية والمبادلات التجارية وتبادل مواد غذائية وموارد أولية لتمويل الأسواق .

كل هذا جعلها تشكل النواة الأساسية في حياة الاقتصادية ولقد لعب النشاط الزراعي في باييك الشرق خاصة في فترة صالح باي اهتماما كبيرا على تحسين أوضاع الزراعة وتنمية الإنتاج الفلاحي واستحداث مزارعات جديدة مثل ارز الذي حول زراعته بسهول الحامة مستعينا في ذلك بنظام الري الدائم ، ومعتمدا على تشغيل عدد من التوريات لرفع الماء إلى مشاتل الارز

1 - ناصر الدين سعيدي ، الملكية والجبابة في الجزائر اثناء العهد العثماني ، المرجع نفسه ص108.

كما أنه شجع على زراعة الزباتين بالنواحي قريب من قسنطينة واهم مشروع صفقة صالح باي استغلال السهول الخصبة القريبة من عين مليلة .

2. تربية المواشي والثروة الحيوانية: كانت الهضاب العليا تحتضن قطعاناً ضخمة من الأغنام والإبل والخيول التي كانت تُشكّل مادة ضريبة الأنعام وعصب التجارة مع تونس والجنوب الصحراوي، وقد كانت الخيول التي تُربّيها قبائل الهضاب مطلوبة بشدة لتزويد الجيش، مما أعطى هذا القطاع أهمية استراتيجية تتجاوز البعد الاقتصادي الصرف.<sup>1</sup>

3. التجارة العابرة والأسواق: كان بايلك الشرق ممراً حيواً للتجارة بين الجزائر وتونس، وبين الساحل والجنوب الصحراوي. وكانت قسنطينة تحتضن سوقاً أسبوعية كبرى تلتقي فيها منتجات التل والهضاب والصحراء، فضلاً عن سوق عنابة التي كانت ملتقى للتجار المحليين والأوروبيين. وكانت المكوس والرسوم الجمركية المفروضة على هذه الأسواق تُمثّل مورداً مالياً مستقراً للبايلك<sup>2</sup>

#### 4. الصناعات الحرفية:

لقد كانت هناك عدة عوامل وراء ازدهار واستمرار الحرف والصنائع في بايلك الشرق حيث كان من أغنى بايلكات من وفرة المواد الأولية وكثرة تنوع المنتجات الحيوانية من صوف وجلود وهذا نتجة لوفرة رؤوس الماشية بالاقليم كالابقار والاعنام وغيرها من المواشي، يحتوي إقليم على أنواع متعددة من المعادن وكميات وفيرة ومن أهم هذه المعادن نجد في منطقة بونة (عنابة) وبجاية وغيرها من المناطق الأخرى وكذلك الرصاص والنحاس بالإضافة إلى الذهب الذي يجلب من بلاد السودان وكانت مدينة قسنطينة يوجد بها 33 مصنعا للدباغة الجلود و 176 معملا الأحذية ولقد ذكر ابن الفكون في نوازلها وما فيه من حرف ومهن حرة متوازنة عن الأسر ففي قسنطينة ذكر 55 حرفة وصناعة منها الجزارة، الكنافة، الساقية وغيرها من الحرف وكانت حرفة النجارة منتشرة في إقليم قسنطينة وتقوم على تحويل الاخشاب إلى

<sup>1</sup> - ناصر الدين سعيدون النظام المالي المرجع السابق ص 13

<sup>2</sup> - محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1972 ص 47.

منتجات من كراسي وأواني وغيرها.<sup>1</sup>

تميزت قسنطينة بصناعاتها الحرفية التقليدية، كالنسيج، والدباغة، والصياغة، وصناعة الأسلحة. وكان هذا القطاع خاضعاً لرقابة "الأمناء" وكانت ضرائب منتظمة تُضاف إلى عائدات الخزينة.<sup>2</sup>

ونذكر كذلك مهنة البراح والخباز ونجد صناعة الحلي متوارثة ومهنة النحاسون والطرارون المختصون في الألبسة مثل القندورة القسنطينية .

وكانت المعادن الغنية على رأسها الذهب والفضة أثمن عناصر الملكية لدى الإنسان، فكانت ملكية المعدن تشكل واحد من ميولاتهم سواء كانت على شكل حلي ام على شكل معدن خام وكانت ملكية الحلي كانت أكثر انتشارا وكانت الحلي و توابعها المستخدمة لدى الاسرة ذات أشكال مختلفة واسماء كثيرة ،مما يدل على تطور حرفة الصياغة في المدينةالمركز ونذكر اسماء الحلي ،الخلخال ،العقد ،القيراط ، والصارصة والمقاييس إلى غير ذلك ونذكر بعض اسماء أخرى غير واضحة مثل الدلال والزرروف والشاشة ..... وعلاوة على الذهب والفضة فإن الأموال المدخرة كانت على شكل احجار أخرى مثل الزمردة .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد الحليم بونويقة / احمد شبيرة التحصيل الضريبي في الجزائر خلال العهد العثماني بأيلك الشرق أنموذجا مذكرة

لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث 2024 ص16

<sup>2</sup> - محمد صالح بن العنتري ، المصر السابق ص18.

<sup>3</sup> - خليفة حماش ، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني .رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث جامعة مستوري قسنطينة 2006 ص 723.

## المبحث الثاني: التنظيم الإداري والسياسي لبايك الشرق

### المطلب الأول: نشأة باييك الشرق وتطوره التاريخي

أسس باييك الشرق في إطار التنظيم الإداري الذي أرسته الدولة العثمانية في الجزائر عقب دخولها سنة 1519م، والذي قسّم الإيالة إلى ثلاثة بايلاكات كبرى (الشرق، الغرب، التيطري) بالإضافة إلى دار السلطان. وقد نشأ هذا التقسيم تدريجياً، ولم يكن ثمرة قرار مركزي واحد، بل تشكّل عبر عقود من الممارسة الإدارية والتكيف مع الواقع المحلي.<sup>1</sup> وفي مراحل الأولى، كان باييك الشرق يتسم بهشاشة السلطة وضعف الامتداد المؤسسي؛ إذ كانت سلطة الباي لا تتجاوز في الغالب نطاق المدن الكبرى، في حين ظلت المناطق القبلية والجبلية خارج نطاق السيطرة الفعلية.

وقد شهد القرن الثامن عشر تحولاً جوهرياً في هذا الإطار، حين بدأت السلطة المركزية للباييك تتعزز تدريجياً مع تراكم الخبرة الإدارية وتطور أجهزة الجباية والإخضاع.<sup>2</sup> وبلغ باييك الشرق ذروة نضجه المؤسسي في عهد صالح باي (1771-1792م)، الذي يُعدّ من أبرز الشخصيات التي حكمت قسنطينة في العهد العثماني؛ فقد عمل على تعزيز الجهاز الإداري، وتنظيم الجباية، وإنجاز مشاريع عمرانية لا تزال آثارها قائمة في قسنطينة حتى اليوم، مما جعل عهده نقطة مرجعية في الدراسات التاريخية المتعلقة بهذه المرحلة<sup>3</sup>

### المطلب الثاني: منصب الباي وصلاحياته

-الحاج احمد باي:

كان اول كرغلي يحصل منصب من سلسلة من البايات الاتراك في قسنطينة والذين انتهجوا سياسة جمع ثروات لهم وبعد فساد سياستهم تم تولية احمد باي باييك الشرق كنوع من الإصلاح

<sup>1</sup> جهيدة بو عزيز ، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في باييك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني 1871-1837 (1185-1253هـ) ، رسالة ماجستير قسنطينة 2011 - 2012 ص12.

<sup>2</sup> فلة القشاعي ، المرجع السابق ص36.

<sup>3</sup> عمار بحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1997 ، ص37.

ومراضات للأهالي من طرف الحكام، وكتعويض للظلم الذي عانوه من سابقه وذلك سنة 1826، وقد كان بالباي يلقب قبل ان يصبح بايا برزت كفاءته وحنكته مسبقا فمنذ تمت ترقيته الى رتبة عواسي سنة 1800، ليعين خليفة للباي بعدها بعد ثبوت جدارته سنة 1818 فلاحظ الداوي حسين تطوره ليعينه بعدها بايا على بايلك الشرق.

تسلم احمد باي البايك من سابقه وهو في حالة مزرية وفي كل المجالات خاصة في ظل نفوذ العائلات الثرية التي افسدت طباع الاتراك هناك ينتهج هو مسلكا معاييرا له، وقد عمد الى مصاهرتهم الامر الذي مكنه من توحيد القبائل الكبرى في الجهة الشرقية تحت قيادته يضمن له استقرار البايك.

كان منصب الباي يُمثّل قمة الهرم الإداري في البايك، إذ كان يجمع في يده السلطات التنفيذية والعسكرية والمالية في آن واحد، مما جعله الحاكم الفعلي المطلق داخل حدوده الإدارية. وكان يُعيّن رسمياً من قِبَل الداوي في الجزائر العاصمة، وكان عليه أن يُرسل سنوياً "الصرّة"، وهي المبلغ المالي المقرر كتعبير عن التبعية والولاء السياسي<sup>1</sup>. وتتوزع صلاحيات الباي على عدة محاور جوهرية:

السلطة المالية والجبائية: كان للباي الحق في تحديد مبالغ الضرائب المفروضة على الأقاليم المختلفة، وتعيين عمال الجباية وعزلهم، والبتّ في النزاعات المالية. ويُشير ابن أبي ضياف إلى أن الباي كان يملك صلاحية تخفيف العبء الضريبي على القبائل الموالية ومضاعفته على المتمرّدة، مما جعل الجباية أداةً سياسيةً بامتياز<sup>2</sup>

السلطة العسكرية والأمنية: كان الباي يقود شخصياً الحملات العسكرية السنوية المعروفة بـ

1- Grammont, H. D. de. (1887). Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830).

Paris: Ernest Leroux.P165

2 ابن أبي ضياف، أحمد. (1963). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (الأجزاء 2-3). تونس: الدار

التونسية للنشر. ص 45

"المحلة"، والتي كانت تنطلق في الربيع والخريف لجمع الضرائب من القبائل بالإكراه عند الضرورة، وإخضاع المناطق المتمردة. وكانت هذه الحملات تجمع بين وظيفتين متلازمتين: العسكرية والجبائية.<sup>1</sup>

السلطة القضائية والتشريعية: كان الباي يُشرف على القضاء في المسائل الإدارية والجنائية التي تتجاوز اختصاص القضاء الشرعي المحلي، وكان قراره في النزاعات الكبرى نافذاً لا يُرد.<sup>2</sup>

الدبلوماسية الإقليمية: كان للباي صلاحية إبرام اتفاقيات مع قبائل الحدود وممثلي الدول الأجنبية في المسائل التجارية، دون الحاجة إلى الرجوع إلى الجزائر العاصمة في كل مرة، وهو ما أعطاه هامشاً واسعاً من الاستقلالية الفعلية.<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: الجهاز الإداري والمالي

اتكأ بايلك الشرق على جهاز إداري متعدد المستويات لضمان السيطرة على الإقليم الواسع وتحصيل موارده المتنوعة، وكان هذا الجهاز يعمل وفق منطق هرمي دقيق تترتب فيه المسؤوليات من القمة إلى القاعدة.<sup>4</sup>

أ — الخليفة: يحتل المرتبة الثانية في سلم الإدارة مباشرة بعد الباي، وكان يتولى إدارة البايك في غياب الباي خلال الحملات العسكرية أو السفر الرسمي. وكان في الغالب من الضباط العسكريين ذوي الخبرة والثقة، ويتمتع بصلاحيات واسعة في الملفات المالية والإدارية.<sup>5</sup>

ب — القائد (القائد): يتولى الإشراف على منطقة جغرافية محددة تُسمى "الوطن"، ويُعد حلقة الوصل الجوهريّة بين السلطة المركزية والساكنة المحلية. وعلى عاتقه تقع مسؤولية تحصيل الضرائب من المناطق التابعة له وإحالتها إلى الخزينة، فضلاً عن المحافظة على الأمن وتطبيق

<sup>1</sup> - عمار بحوش ، مرجع السابق ، ص34.

<sup>2</sup> - فلة القشاعي ، مرجع السابق ، ص36.

<sup>3</sup> - نصر الدين سعيدوني ، النظام المالي أواخر العهد العثماني 1792-1830م ، مرجع السابق ، ص145.

<sup>4</sup> - نصر الدين سعيدوني ، نفس المرجع ، ص146.

<sup>5</sup> - محمد الصالح بن العنتري ، مصدر سابق ، ص21.

أوامر الباي. ويُشكّل القايد العمود الفقري للجهاز الجبائي في البايك، إذ كان النجاح أو الإخفاق في تحصيل الضرائب يتوقف على كفاءته وعلاقاته مع قبائل منطقته ، ومنهم قائد الحانشة ، قايد الزمول ، وهي قبيلة عسكرية حوالي 20 قبيلة<sup>1</sup>

ج — الشيخ: يُمثّل مستوى القيادة المحلية على مستوى القبيلة أو الدّوار أو القرية، وكان يُختار في الغالب من كبار العائلات أو رؤساء القبائل الذين يحظون بقبول اجتماعي. وكان وسيطاً بين القايد وأفراد المجتمع في إحصاء الممتلكات وتوزيع الأعباء الضريبية) ، وهؤلاء عينة من الشيوخ وقادة القبائل في بايك الشرق :

شيخ لحانشة وتحتة 12 قبيلة ، شيخ العرب وتحتة 11 قبيلة من البدو والرحل ، قائد الأوراس وتحتة 12 قبيلة ، قائد عامر الشراقة وتحت 6 قبائل.<sup>2</sup>

د — الأمين: هو المسؤول عن ضبط الحسابات والمعاملات المالية في الأسواق والمخازن والحرف، ويؤدي دور المراقب المالي على مستوى المدينة، وكان خاضعاً للرقابة الإدارية المباشرة.<sup>3</sup>

هـ — المخزن: يُمثّل القوة العسكرية المساندة للجهاز الإداري، ويضم قبائل موالية للسلطة تحظى في مقابل خدماتها بإعفاءات ضريبية وامتيازات مادية. وكان يُستعان به في تنفيذ الحملات الجبائية وإخضاع المناطق المتمردة، مما جعله أداة للضغط والإكراه في خدمة منظومة الجباية.<sup>4</sup>

و — الخوجة: هو الكاتب الرسمي للباي والمسؤول عن مسك السجلات المالية وتدوين المراسلات الإدارية. وعلى الرغم من مكانته الوظيفية المتواضعة ظاهرياً، إلا أنه كان يحتل

1 - عمار بحوش ، ص32.

2 - محمد العربي الزبيري ، مرجع سابق ، 1982 ص115.

3 - نصر الدين سعيدوني ، النظام المالي أواخر العهد العثماني 1792-1830 ، مرجع سابق، ص147.

4 - حمدان بن عثمان خوجة ، المرأة ، محمد بن العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ط2 ، 1982 ، ص115.

موقعاً محورياً في الجهاز البيروقراطي نظراً لإشرافه المباشر على دفاتر الجباية والوثائق المكتوبة<sup>1</sup>

#### المطلب الرابع: التقسيم الإداري الداخلي لبايك الشرق

كان باييك الشرق مُقسماً إدارياً إلى وحدات جغرافية أصغر تُعرف بـ "الأوطان"، وكان كل وطن يضم عدداً من القبائل والمداشر تحت إشراف قايد معين من السلطة. وقد تفاوتت هذه الأوطان في حجمها، وكثافتها السكانية، وطبيعة مواردها، مما أوجد تفاوتاً ملحوظاً في حجم ما تدفعه من ضرائب.<sup>2</sup>

ومن أبرز الأوطان التي يُشير إليها المؤرخون في باييك الشرق: وطن قسنطينة المباشر، ووطن عنابة الساحلي، ووطن الحنانشة في الشرق القريب من الحدود التونسية، ووطن النمامشة الذي كان يمتد نحو تبسة وما جاورها، فضلاً عن أوطان منطقة الأوراس ذات الطابع الجبلي المستعصي على الضبط الإداري الكامل.<sup>3</sup>

#### خامساً: العلاقة بين باييك الشرق والسلطة المركزية في الجزائر

كانت العلاقة بين الباي في قسنطينة والداي في الجزائر العاصمة تقوم على معادلة دقيقة من التبعية والاستقلالية المتوازنة؛ فمن الناحية الرسمية، كان الباي تابعاً للداي يستمد شرعيته من تعيينه، ويلتزم بإرسال الصرة السنوية في موعدها المحدد. غير أنه من الناحية الفعلية، كان يتمتع بسلطة شبه مستقلة في الإدارة الداخلية والجباية والعلاقات مع القبائل<sup>4</sup> وقد ولدت هذه المعادلة في بعض الأحيان توترات مالية وسياسية حادة، لا سيما حين كانت الحصيلة الجبائية تقلّ عن المتوقع فيتخلف الباي عن إرسال المبلغ المقرر للجزائر، وكان مثل هذا التخلف يُشكّل سبباً كافياً لعزل الباي أو التدخل العسكري ضده. ويُشير سعيدوني إلى أن

<sup>1</sup> - فلة القشاعي، مرجع سابق، ص 05.

<sup>2</sup> - عمار بحوش، مرجع السابق، ص 34.

<sup>3</sup> - نصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، مرجع السابق، ص 109.

<sup>4</sup> - Grammont, H. D. de. (1887). Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830). Paris: Ernest Leroux. P201

جملة من البايات أُقيلوا بسبب إخفاقهم في الوفاء بالتزاماتهم المالية تجاه السلطة المركزية<sup>1</sup> ومع ذلك، أثبتت التجربة التاريخية أن باييك الشرق احتفظ بأكبر قدر من الاستقلالية مقارنةً بالبايكيين الآخرين (الغرب وال تييطري)، ويعود ذلك جزئياً إلى بُعد الجغرافي عن العاصمة، وإلى ثقل موارده الاقتصادية التي منحت بباياته نفوذاً واسعاً في التفاوض مع السلطة المركزية. بل إن بعض البايات سعوا إلى تعزيز علاقاتهم مع الباب العالي في إسطنبول مباشرةً متجاوزين الجزائر العاصمة، وهو ما كان يُثير حفيظة الداي ويزيد التوترات تعقيداً<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> - نصر الدين سعيدوني ، الحياة في الريف باقليم مدينة الجزائر ، دار السلطان ، أواخر العهد العثماني ، للنشر والتوزيع ، 2013 ، ص134.

<sup>2</sup> - نصر الدين سعيدوني ، مرجع سابق ، ص148

## خلاصة الفصل :

يتضح من خلال هذا الفصل أن بايلك الشرق كان يمتلك مقومات جغرافية وإدارية استثنائية ميّزته عن غيره من البايلاكات الجزائرية؛ فتنوع تضاريسه وثراء موارده الزراعية والتجارية جعلاً منه الوحدة الأكثر إنتاجاً من الناحية الجبائية، في حين أسهم تنظيمه الإداري المتدرّج — من الباي وصولاً إلى الشيخ والأمين — في بناء منظومة جبائية ذات طابع هرمي يعكس بوضوح طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

كما أن الاستقلالية النسبية التي تمتع بها البايك تجاه السلطة المركزية أتاحت لبياياته هامشاً واسعاً من المبادرة في إدارة الشؤون المحلية بما فيها الجباية. وعلى هذه القاعدة الجغرافية والإدارية ستُبنى التحليلات التالية حول النظام الضريبي وانعكاساته على الساكنة.

# الفصل الأول

## تشكيل المحلة وعناصرها

المبحث الاول : تعريف المحلة وتنظيماتها

المطلب الاول : تعريفها وتنظيمها

المطلب الثاني : النشأة والتطور التاريخي للمحلة في بايلك الشرق

المبحث الثاني: أنواع المحلة وعناصرها

المطلب الاول : أنواعها

المطلب الثاني : عناصرها

تُمثّل المحلّة إحدى أبرز المؤسسات التي ميّزت بنية الحكم العثماني في الجزائر عموماً، وفي بايلك الشرق خصوصاً؛ إذ جمعت في طياتها وظائف متعددة ومتشابهة لا يمكن اختزالها في مجرد حملة عسكرية دورية لجمع الضرائب. فالمحلّة كانت في جوهرها تجسيدا حياً لـ "السلطة المتنقلة"، التي تحمل معها هبة الدولة وجهازها الإداري وقوتها الرادعة إلى أعماق الأرياف والبوادي التي كانت الإدارة الحضرية المستقرة عاجزة عن بسط رقابتها الدائمة عليها. ولهذا السبب، يرى سعيدوني أن دراسة المحلّة هي في حقيقتها دراسة لآليات السلطة العثمانية في تجلّيها الميداني الأكثر مباشرة وتأثيراً في البنية المجتمعية<sup>1</sup> وقد ظلّت المحلّة طويلاً في هامش الاهتمام التاريخي المنفرد، إذ اقتصرَت معظم الدراسات على ذكرها عرضاً في سياق الحديث عن الجباية أو الاضطرابات العسكرية، دون تناولها بوصفها مؤسسة قائمة بذاتها، لها تنظيمها الداخلي المتميز، وتصنيفاتها الوظيفية، وعناصرها البشرية والمادية المتكاملة. بناءً على ذلك، يأتي هذا الفصل ليسدّ هذه الثغرة المعرفية عبر مقارنة تحليلية هيكلية تتناول المحلّة من الداخل، مما يمهّد للفصل الموالي المخصص لبيان أدوارها ووظائفها الميدانية.

#### المبحث الأول: تعريف المحلّة وتنظيمها

##### المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

أ — في اللغة: كلمة "المحلّة" مشتقة من الفعل العربي (حلّ) بمعنى النزول والإقامة المؤقتة، وجمعها "محلات". وكان هذا اللفظ يعكس بدقة طبيعة حركة هذه الحملة التي كانت تنزل بإقليم معين وتقيم فيه فترة من الزمن، ثم ترحل إلى إقليم آخر (ابن منظور، د.ت، مادة "حل")<sup>2</sup>

فالمحلة هو نقيض المرتحل والمحلة هي الآخرة والباقية والمرتلح الدنيا ، حيث يقول قيس بن الخطيم : تحل بنا لولى نجات الركائب ( أي تجعلنا نحل وبالتالي هي مكان حلول القوم , مكان نزولهم) حيث يقول الله عز وجل: ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ)) سورة البقرة الآية 196.

أي الموضع الذي يحل فيه نحره والوقت الذي يحل فيه نحره<sup>3</sup>.

ب — في الاصطلاح الإداري العثماني: فقد اطلق على الجهاز العسكري والسياسي الذي كان سائدا في

<sup>1</sup> - نصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية في الجزائر العثمانية ، المرجع السابق ، ص167

<sup>2</sup> - ابن منظور ، لسان العرب ط ج ، تحقيق عبد الله الكبير وآخرون ، دار المعارف مصر ، د.س ، ص972.

<sup>3</sup> - الزهار أحمد الشريف ، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب الأشرف ، في الجزائر 1774-1830 ، تحقيق أحمد توفيق المدني ، ص82.

بلاد المغاربة ، فالمحلة في العد العثماني عبارة عن فرق من الجيش الانكشاري التي تتوجه الى الباييكات الثلاث من أجل جباية الضرائب أو معاقبة القبائل الثائرة<sup>1</sup>

ج — المحلة في المصادر التاريخية: وردت الإشارة إلى المحلة في مصادر أولية متعددة، ومنها كتابات حمدان خوجة الذي وصفها بأنها: "سفر السلطان إلى أهل البلاد يُحيي فيهم ذكر الطاعة ويأخذ منهم ما وجب عليهم"<sup>2</sup> ويُخص هذا التعريف الوجيز وظيفة المحلة المزدوجة: الرمزية السياسية، والمالية الجبائية.

### المطلب الثاني: النشأة والتطور التاريخي للمحلة في بايلك الشرق

أ — الجذور التاريخية: لم تكن المحلة ابتكاراً عثمانياً خالصاً، بل تمتد جذورها في التقاليد السلطانية للمغرب العربي في العصور الوسطى؛ إذ عرفت الدول الإسلامية السابقة ما يُشابهها تحت مسميات عدة مثل "العسكر" و"السلطان السائر" أو "الحركة". غير أن الإدارة العثمانية طوّرت هذه المؤسسة، وقنّنت مساراتها، وأضفت عليها طابعاً أكثر تنظيماً ودورية<sup>3</sup>

ب — التطور المحلة في بايلك الشرق: شهدت المحلة في شرق الجزائر تطوراً ملحوظاً عبر القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ إذ تحولت من مجرد حملة ردع عسكرية مجردة في بداياتها، إلى موكب إداري بيروقراطي يضم في قلبه جهاز جباية متخصصاً. وقد بلغت المحلة ذروة نضجها التنظيمي في عهد صالح باي (1771-1792م)، الذي أضفى عليها طابعاً مؤسسياً راسخاً عبر ضبط مساراتها الجغرافية، ومواعيد انطلاقها، وتشكيلاتها البشرية بدقة عالية.

المحلة هي مجموعة من الجند ترسل من بايلك دار السلطان الى العواصم الثلاث ، بايلك الشرق وعاصمتا قسنطينة وبايلك تيطري وعاصمتها المدية ، وبايلك الغرب وعاصمتها وهران، وبعد انتهاء مهمتها ترجع الى مدينة الجزائر لتلتحق بالثكنات العسكرية ولها خط سير لهذه المحلات للوصول الى مواطن القبائل والذي ينطلق من مركز المقاطعات البايك<sup>4</sup> ، وتلتحق بالمحلة قوات خاصة من المركز السلطة وتتوغل في الداخل عبر قبائل التي تخضع لنظام المحلة وتستخدم نظام فرق الجنود البولداش المدعمن بفرسان المخزن ، كما تساعد بعض القبائل والأسر فمثلا في بايلك الشرق ، تدعم أسرة ابن قانة قوات المحلة ب900

<sup>1</sup> - حمدان عثمان بن خوجة ، مصدر السابق ، ص116.

<sup>2</sup> - فلة القشاعي ، مرجع السابق ، ص05.

<sup>3</sup> جميلة معاشي ، الانكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراء في علوم التاريخ الحديث ، السنة الجامعية (2007-2008).

<sup>4</sup> - محمد صالح ابن العنثري ، مصدر سابق ص25.

رجل من المشات و1210 رجل من القرآن ، وتعتبر هذه الأسرة من الأسر الأكثر نفوذا من بابلك الشرق.

#### \* التنظيم الداخلي للمحلة

أ — القيادة العليا: يتألف المحلة الباي شخصياً في الحملات الكبرى، أو ينوب عنه "ال خليفة" أو أحد كبار القادة العسكريين عند تعذر خروجه. وكانت القيادة العليا تتمتع بصلاحيات ميدانية واسعة تشمل الفصل في النزاعات، وتعديل المقادير الجبائية المطلوبة تبعاً للظروف، وإصدار قرارات العفو أو العقوبة.<sup>1</sup>

ب — الجهاز الإداري المرافق: كانت المحلة تصطحب جهازاً مكتبياً متكاملاً يضم "الخوجة" والكتاب المسؤولين عن تدوين المبالغ المحصلة في الدفاتر الرسمية، و"الأمناء" المكلفين بتقييم السلع والمنتجات العينية وتأمينها، فضلاً عن "القضاة" الشرعيين للفصل في الخصومات الميدانية<sup>2</sup>

ج — الحراسة والمؤن: اعتمدت المحلة على منظومة لتأمين احتياجاتها أثناء التنقل، شملت قوافل الإمداد بالتموين والذخيرة، وفرق الصيانة، وحراس المعسكرات الليلية. وكان تأمين هذه الاحتياجات يُشكّل عبئاً مالياً وعينياً ثقيلاً على القبائل التي تمر بها المحلة؛ إذ كانت تُلزم شرعاً وعرفاً بتوفير "المؤونة" (الإعاشة والمبيت) لأفراد الحملة<sup>3</sup>، التزمت كل محلة بمسار جغرافي مرسوم سلفاً يمر عبر "أوطان" البابلك وفق تسلسل مدروس يُراعي طبيعة التضاريس ومواقع القبائل، أما التوقيت فكان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدورة الإنتاج الزراعي؛ إذ كانت الحملة تنطلق فور فراغ الفلاحين من جمع المحاصيل، لضمان قدرة الساكنة على السداد المالي أو العيني.<sup>4</sup>

#### المبحث الثاني: أنواع المحلة وعناصرها

##### المطلب الأول : أنواعها

يعتبر من أهم المحال التي برزت في اليازة الجزائر خلال الفترة الحديثة هي على الترتيب ، محلة الشرق البابلك ، وهي من أشهرها وأوسعها نطاقاً.

أولاً: المحال الموسمية: يتمثل هذا النوع في صنف المحال المنتظمة التي تخضع الى قوانين ووقوف منتظمة ومسار محدد ومعهود ، وتكمل وظيفتها عادة في جمع المجابي المفروضة على الرعايا ، حيث

1 - نصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية في الجزائر العثمانية ، المرجع السابق ، ص189

2 - محمد الصالح بن العننري ، مصدر نفسه ، ص26.

3 - نصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في فترة الحديثة ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان 2001 ، ص344-345.

4 - حنفي هلال ، مرجع سابق ، ص110

كان خروجها مرتين.<sup>1</sup>

محلة الربيع: تنطلق بعد انقضاء موسم الأمطار وقبيل الحصاد؛ واستهدفت سهول التل لتقدير حجم المحاصيل المتوقعة، وإحصاء المزارعين، وتحديد قيمة الضرائب المستقبلية. محلة الخريف: تنطلق فور انتهاء الحصاد، وتُمثّل الموسم الفعلي لجمع الجباية الزراعية ونقلها، وهي الأهم مالياً نظراً لرفدها خزينة البايلك بالعائدات السنوية الكبرى..

ثانياً: المحلة السلطانية: هي أقدم المحلات في إيالة وكانت المصادر الجزائر تسميها محلة الآغا الصبايحية ، يقودها آغا العرب ، كانت تخرج من الإيالة الى الفحوص المجاورة ويلتحق بهذه المحلة عند خروجها مشايخ الاوطان وقوادها الفحوص وتنظم الى القبائل الزمول وفرق العبيد.

ومحلة تقتصر على فرق الخيالة ولا يساهم فيها الجندي الانكشاري.

وتكتس محلة السلطان أهمية خالصة بالنسبة للمركز الحكم.<sup>2</sup>

ثالثاً: المحلة العقابية: حملة استثنائية تُوجّه حصراً ضد القبائل التي تعلن العصيان أو تتأخر عمداً عن<sup>3</sup> سدّاد ما عليها. تميزت بطابعها الهجومي الصارم، ولم تقتصر على جمع المبالغ المستحقة بل فرضت غرامات مضاعفة، وصاحبته تدابير زجرية كالمصادرة الردعية لإعادة إخضاع القبيلة لسلطة الباي

المطلب الثاني: عناصرها

تتكون المحلة من عناصر مختلفة من آغا المحلة وخليفته أو كاهيته ومن بولو كباشي وأوده باشي وخوجة مسؤولاً عن طلبات المحلة بالإضافة إلى توظيف شاشين لهما صلاحية دفع الرواتب وأساسلي باشي أي الطباخ ومعاونيه ثم سقي باشي لتوفير الماء ووكيل الخرج

<sup>1</sup> - نصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية في فترة الحديثة ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان 2001 ، ص344-345.

<sup>2</sup> Grammont, H. D. de. (1887). Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830).

Paris: Ernest Leroux.P200

3-جميلة معاشي ، مرجع سابق ، ص86.

ومجموعة من اليولداش المشاة والفرسان ومدة الخدمة في مدة جمع الضرائب سنة اشتهر  
لمجلة بابليك الشرق.<sup>1</sup>

أ- اليولداش:

وتتمثل في القوات التركية النظامية التابعة للحامية التي يرسلها الباشا من مدينة الجزائر  
لحماية وللأمن ببابليك ومساعدة الباي على جباية الضرائب  
أما عدد الاتراك الذين يصلون إلى البابليك.

كل ربع يقدر بـ 1500 تركي و\*1250 صبايحية\* يعودون إلى مدينة الجزائر.<sup>2</sup>

في الخريف و 250 يقضون الشتاء بقسنطينة يقيمون بالقصبة أو في معسكرات على  
أبواب المدينة وعلى ضفاف وادي الرمال وهي التي تعرف بمحلة الشتاء وتذهب عادة مع  
شيخ العرب لجمع الضرائب من المناطق الصحراوية وتعود في الربيع.<sup>3</sup>

ويذكر ان الباي كان يعسكر مع حوالي 600 تركي أي 25 صفره بالإضافة إلى  
القوات التي يرسلها له الديوان والتي تزيد عن 104 صفره من جهة سطورة وجيجل و 10  
صفرات من بلاد القبائل والحنانشة، وكان وصف Peysonnel لمحلة الباي (حسن بوقمية  
1137هـ / 1725م) أدق وصف للمحلة ببابليك قسنطينة إذ حضر مسيرة المحلة وعایش  
أحداثها فقال: «إن الباي كان يعسكر قرب منابع المياه دائماً، والاثار الرومانية.»

وقد ظهر معسكر للباي الأول بوادي (سيقوس) جنوب شرق قسنطينة، والثاني بـ (الزانة)  
الواقعة غرب قرية سريانة التابعة لولاية باتنة. ويضيف قوله: «إن الباي قد ألح على معسكر  
الأول كانت تتكون من 12 صفرات أي ما يساوي 1300 إنكشاري، أما المعسكر الثاني فمن

<sup>1</sup> نصر الدين سعيدوني ، الحياة الريفية ، ص200.

<sup>2</sup> جميلة معاشي: المرجع السابق، ص 52-53.

<sup>3</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ، المرجع السابق ، ص110.

25 صفرة أي حوالي 1600 إنكشاري بالإضافة إلى 15 صفرات أرسلها الساحل و 10 إلى حنانشة.

الفرق المخزنية: وتشمل القوات المخزنية، كل القوات المخزنية الجند المساعد المركزي للبايلك، وهي مقسمة على النحو التالي:

#### 1- الزمول والداير:

وهم عبارة عن قبائل محلية تتكون من عناصر مختلفة استوطنوا في الزمالة في سهول عين مليلة، كان يرأسها قائد يعرف بقائد الزمول وقد أقطعت لهم من طرف صالح باي مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية قدرت بحوالي 4000 هكتار وهي قبائل استحدثها العثمانيون، وهي قبائل عسكرية محلية وعرفت كذلك بالدواير منها دايرة خليفة التي تتكون من 200 فارس وتنشط في أحواز قسنطينة ، الخروب، الحامة، أولاد رحمون<sup>1</sup> .

وهو كيان خاضع تام للسلطة المركزية عكس القبيلة التي تقوم على القرابة الدموية اما الزمالة في التي تقوم على مجموعة من الأفراد عهد إليهم برعي الماشية الخاصة كان مقرهم بقرب قسنطينة ولقد ذكر الرحالة Peyssonnel بقوله ان قوات محلات الباي تتكون من 300 تركي مشاة و 800 فارس دائمين بالإضافة الى الفرق كانت ترسل إليه من الجزائر لمشاركة في جباية الضرائب ويتراوح عددهم بين 60 إلى 100 صفرة ، وعند الحديث عن تنظيم المحلة إن نظام خيام المحلة كانت تنصب بنظام خاص فكانت خيم الباي تنصب حول المعسكر بتحميل الهجومات القبائل<sup>2</sup>

أما عند سير المحلة فكان الباي يتقدم الركب ويتبعه عدد كبير من القوات تحمل رايات مختلفة اهمها راية العلماء التي تتبع الباي مباشرة ثم راية الديوان وقد كان للمحلة جوق عسكري خاص بقرع الطبول الامر

<sup>1</sup> جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص82

<sup>2</sup> أحمد سيساوي ، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسيين من فالي إلى نابليون 1838 - 1871 رسالة دكتوراه فب التاريخ الحديث والمعاصر جامعة قسنطينة 2013/2014 ، ص 29

الذي مكان يحدث الهلع في صفوف الفلاحين والقبائل الرحل الذين كانوا يفرون بمجرد سماع قرع الطبول وهو ما حصل عند وصول محلة الباي حسن بوقمية 1137 هـ / 1735 م إلى أراضي أولاد عبد النور ولقد ذكر الحالة Peysonnel أن قوات المحلة أرغمت الفارين على الرجوع الى خيامهم أجبرتهم على دفع ما عليهم من ضرائب وتقديم خدماتهم لجال المحلة ويذكر ان المراجع أن مساهمة القبائل والدواوين كانت فعالة<sup>1</sup>

الدوائر: هي القبائل المنتمية إلى أصل واحد وحاجات لتستظل بأراضي العزل وتخدم البايك عسكريا مقابل بعض الامتيازات الاقتصادية، وقد كان للأسر المحلية الحاكمة نفسها دوائر خاصة تخضع لأوامرها.

كان باستطاعة الباي أن يأخذ الأرض من المستفيدين بعد أن قاموا بإصلاحها وذلك إما لبناء مسكن ريفي له أو لتوزيعها على بعض المخلصين من الموظفين السامين، وقد أكدت المصادر أن الفضل يعود إلى قبائل الزمول في إصلاح أراضي جنوب وغرب قسنطينة التي كانت بورا<sup>2</sup>.

السهول الواسعة بعين مليلة (45 كلم جنوب قسنطينة) بين جبل قريون و"نيف النسر" حيث استقرت حاليا وقد بقيت هذه الأراضي رغم انتقال بعضها إلى ملكيات خاصة أراضي بايلىكية استطاعت السلطات الفرنسية، بمجرد احتلالها للمنطقة أن تستولي عليها باعتبارها أراضي البايليك وهو ما قرره لجنة S.C في حق أراضي عزل الفسقية الذي قدر بـ 214 هكتار، وكانت تستفيد منه 11 أسرة من بينها أسرة بوالخراس بن قانة، ونفس المثال ينطبق على بقية أراضي العزل منها أراضي السمنود ووادي القطر غرب قسنطينة التي أعلنها أحمد

<sup>1</sup> جميلة معاشي، المرجع نفسه، ص 82.

<sup>2</sup> - نجاة نواره الإدارة المحلية في بايليك قسنطينة (1528-1830)، رسالة ماجستير 2018-2019، جامعة المسيلة،

باي القبلي 1170هـ-1757م أراضي عزل حلب إليها عددا من القبائل كان معظمها من القل وميلة وجيجل ليشكل منها فرق عمل هذه الأراضي<sup>1</sup>.

بعد أن استعرضنا كيفية توزيع الأراضي بالبايلك ومدى استفادة العناصر المحلية من أراضي العزل، فإنه من المهم تسليط بعض الضوء على وضعية الفلاح في هذه الأراضي وعلاقته بصاحب الإقطاع.

تتفق معظم المراجع على أن علاقة الفلاح بصاحب الأرض كانت عادة علاقة خماسة، أي العمل مقابل 5/1 الإنتاج، وأن الخماس كان محظوظا بالعمل في عزل البايك لأنه لم يكن يعمل سوى 90 يوم في السنة بمعدل 9.43 فرنك في اليوم الواحد، ولا يستهلك سوى حوالي كيس واحد من القمح شهريا وكيس من الشعير كعلف لحيواناته في 15 يوم، في حين يبلغ نصيبه من الإنتاج حوالي 309 فرنك، وهو دخل معقول، إذا ما قورن بمستوى المعيشة السائد آنذاك، حيث كان كيس القمح الواحد لا يساوي أكثر من 2.5 فرنك<sup>2</sup>.

السهول الواسعة بعين مليلة (45 كلم جنوب قسنطينة) بين جبل قريون و"نيف النسر" حيث استقرت نهائيا<sup>1</sup>، وقد بقيت هذه الأراضي رغم انتقال بعضها إلى ملكيات خاصة<sup>2</sup> أراضي بايلىكية استطاعت السلطات الفرنسية، بمجرد احتلالها للمنطقة أن تستولي عليها باعتبارها أراضي البايك وهو ما قرره لجنة S.C في حق أراضي عزل الفسقية الذي قدر بـ 214 هكتار، وكانت تستفيد منه 11 أسرة من بينها أسرة بوالخراس بن قانة، ونفس المثال ينطبق على بقية أراضي العزل منها أراضي السمنندو ووادي القطر غرب قسنطينة التي أعلنها أحمد

<sup>1</sup> فلة القشاعي، مرجع سابق، ص 134-135

<sup>2</sup> حملة معاشي الأسر الحاكمة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10 هجري - 16 م إلى 13 هـ - 19 م)، دار المطبوعات الجامعية، جامعة قسنطينة 2014، ص 156.

باي القبلي 1170هـ-1757م أراضي عزل جلب إليها عددا من القبائل كان معظمها من القل وميلة وجيجل ليشكل منها فرق عمل هذه الأراضي<sup>1</sup>.

بعد أن استعرضنا كيفية توزيع الأراضي بالبايلك ومدى استفادة العناصر المحلية من أراضي العزل، فإنه من المهم تسليط بعض الضوء على وضعية الفلاح في هذه الأراضي وعلاقته بصاحب الإقطاع.

تتفق معظم المراجع على أن علاقة الفلاح بصاحب الأرض كانت عادة علاقة خماسة، أي العمل مقابل 5/1 الإنتاج، وأن الخماس كان محظوظا بالعمل في عزل البايلك لأنه لم يكن يعمل سوى 90 يوم في السنة بمعدل 9.43 فرنك في اليوم الواحد، ولا يستهلك سوى حوالي كيس واحد من القمح شهريا وكيس من الشعير كعلف لحيواناته في 15 يوم، في حين يبلغ نصيبه من الإنتاج حوالي 309 فرنك، وهو دخل معقول، إذا ما قورن بمستوى المعيشة السائد آنذاك، حيث كان كيس القمح الواحد لا يساوي أكثر من 2.5 فرنك.

-الحنانشة: كانت تتمركز بالحدود الشرقية للبايلك قسنطينة، فكان لها دور في تثبيت الحكم المركزي العثماني بالبايلك وأصبحت الأسرة المخزنية بعد معركة وادي القطن انتهت باعتراف بأسرة الحنانشة كقوة فاعلة في بايلك الشرق ، قدرها الرحالة Peyssonnel بحوالي 4 إلى 5 آلاف فارس.

تتكون الحنانشة من الشعامبة، أولاد علي و التيفيش في حين يتكون النمامشة من العمامرة وتربطهم أخلاق مع الحنانشة بزعامة أحرار حنانشة، وبحكم أهمية هذه المنطقة اكتسب شيخ الحنانشة لدى حكام العثمانيين مكانة هامة ونال العدد من الامتيازات جعلته قريبا من مرتبة الباي أو مساويا لها، فقد منح الشيخ حق ارتداء قفطان الباي تعبيرا عن اعتراف السلطة المركزية وكذلك لقد خول استعمال الطابع الذهبي على غرار الباي وقرع الطبول ورفع أعلام

<sup>1</sup> صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين 814، ق/م-1962 دار العموم عناية 2002، ص109.

الخاصة أثناء سير حاميته كما كان جوق الباي يرفقه ما على قبيلته من ضرائب و قصر الباي حتى مقر اقامته بالعاصمة بايلك كما حضر لتقديم ما على قبيلته من ضرائب وفي المقابل هذه الامتيازات كان الشيخ يلتزم بدفع الضريبة سنويا تقدر ب 10000 بوجو كرمز لولائه للحكم المركزي بقسنطينة<sup>1</sup>.

بعد وفاة شيخها خالد الصغير (164) الذي ترك ولدين الابن الأصغر منصر، والأكبر نصر معترفين بالابن الأصغر شيخا للحنانشة بدل من الأعراف الى تقرر بلأخ الأكبر ومن هنا ظهر الشقاق لأنه و قسمت إلى منافسين على المشيخ<sup>2</sup>

وكان من واجبات الشيخ اتجاه قبيلته هو السهر على تطبيق كل أسرة داخل قبيلة لمهامها الاقتصادية العسكرية والادارية على اكمل وجه والإشراف على التحركات القبائل الرحل أثناء الترحال وفي الأسواق التجارية<sup>3</sup> اما مهمته تجاه السلطة المركزية تتمثل في أمرين أساسيين يشترك فيهما معظم موظفي الادارة العثمانية

#### 1- جباية الضرائب من القبائل التابعة له

2- حفظ الامن ولتنفيذ هذه المهام جمع الشيخ فرقا عسكرية تتكون من حرسه الخاص وهو ما يسمى بفرقة المزارقية<sup>4</sup> وتتألف من فرسان أحرار الحنانشة ومجموعة من فرسان من مختلف القبائل الخاضعة للأسرة وهي تشبه نوبة البايات بالاضافة إلى ما يجند من القبائل التابعة له في حالة حروب وبما أن الشيخ كان يجمع الضرائب باسم العثمانيين مقابل الاستفادة من عشرها 10/1 فإن السلطة العثماني منحتة العديد من الامتيازات المادية اهمها

أ/ الاعفاء من الضرائب او تخفيفها

<sup>1</sup> جميلة معاشي، الاسر المحلية، مرجع سابق، ص167.

<sup>2</sup> توفيق بن زردة الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال " .الأرشيف الوطني التونسي ألفا للوثائق تر استيراد توزيع مسطبة 2021 ص 145 ، 182

<sup>3</sup> عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة ، 936 / 1253 هـ - 1837/1592 م، مذكرة ماجستير في التريخ الحديث، جامعة الجزائر 2 ، 2010/2009، ص136.

<sup>4</sup> أحمد السيساوي المرجع السابق ، ص30.

ب/ تدعيم فرسان الشيخ بقوتها الخاصة بالمشاركة في جمع الضرائب من المناطق النائية  
ج/ عدم تدخل السلطة المركزية في شؤون القبيلة الداخلة ولم تكن تملي أي شرط على  
شيخها في إدارة أتباعه<sup>1</sup>

قبيلة الزواوة: أوجدت السلطة كذلك فرقاً أخرى تسمى "الزواوة" التي اعتمدت عليها لتدعيم  
الجيش، وتم استدعائها من قبائل الزواوة الممتدة بين دلس وبجاية، وهذا لمساعدة الجيش على  
أداء مهامه لحماية وفق دو فلوكس (Devouix) ، زواوة على أنها القوات المرتزقة المحلية من  
أفراد قبيلة الزواوة تقدم خدماتها العسكرية للحكام العثمانيين مقابل أجور محددة فدرّبت تدريباً  
يوافق مجال عملهم. واستعان الحكام بفرق الزواوة من أجل قيادة المحلة ومساعدة الفرق الجيش  
لإخماد ثورات القبائل المتمردة وجمع الضرائب<sup>2</sup>

---

<sup>1</sup> محمد الهادي العروق، مدينة قسنطينة ، دراسة في جغرافيا العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984،  
ص2.

<sup>2</sup> محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص25.

# الفصل الثاني

## النظام الضريبي في بايك الشرق

المبحث الأول : أنواع الضرائب المطبقة في بايك الشرق

المطلب الأول : الضرائب الشرعية

المطلب الثاني: الضرائب المستحدثة

المبحث الثاني: الضرائب في المدينة والريف

المطلب الأول : الضرائب في المدينة

المطلب الثاني: الضرائب في الريف

## الفصل الثاني :النظام الضريبي في بايلك الشرق

### المبحث الأول :أنواع الضرائب المطبقة في بايلك الشرق

#### المطلب الاول :الضرائب الشرعية

شكلت الموارد الداخلية إحدى الدعائم الأساسية التي اعتمدت عليها السلطة العثمانية في بايلكات الثلاث لضمان استمرارية جهازها الإداري والعسكري لتمويل مختلف أنشطتها ، فقد ازدادت الحاجة إلى هذه الموارد بعد تراجع عائدات النشاط البحري مما جعلت السلطة تلجأ إلى فرض نظام جديد يعد مصدرا رئيسيا للدخل البايك بصفة خاصة والايالة بصفة عامة لذا عمل الديات لإنعاش الخزينة بفرض الضرائب على السكان من أجل تغطية نفقات الخزينة حيث تعددت انواعها إذ وجدت رسوم مرتبطة بالقطاع الريفي تعتمد على وضعية الأراضي ،ويوجد كذلك مرتبطة بالمدن تركز على الدنوش ومختلف العوائد وكذلك عرفت السلطة لما يعرف بالضرائب الظرفية التي تفرض في ظروف استثنائية لتلبية حاجيات مالية طارئة لدولة ،ومن هذا الفصل سوق نتطرق إلى أنواع الضرائب .

ان دراسة النظام الجبائي تتطلب معرفة دقيقة بالإسلام وتاريخ المجتمع وما يقوم عليه حيث أن وجود العثمانيون الذين تركوا آثارهم وتنظيماتهم على هذا الشكل من النظام، حيث عمل العثمانيون على اخضاع نظامهم للشريعة الاسلامية وفي هذا الجانب من الضرائب ، فالضرائب الشرعية يمكن أن تصنفها الى صنفين وهما: أراضي العشور ، وأراضي الخراج وهما في الاثنين يدخلان تحت مسمى الزكاة ، أما العشور فهي الاراضي الملوكة من قبل غير المسلمين وعند اعتناقهم الاسلام طوعية تصبح عشرية<sup>1</sup>.

أ — العشور: وهي من الضرائب الشرعية المباشرة التي تخص الاراضي الملكية الخاصة الخاضعة لمراقبة البايك ، حيث تؤخذ هذه الضرائب من الانتاج الفلاحي كالقمح والشعير، وتطبق عليها الاحكام الشرعية ، حيث تمثل مدخولا أساسيا لسلطة البايك لان اغلبية الاراضي

<sup>1</sup> ناصر الدين. سعيدوني،. الظام المالي ، ص127

الزراعية الخصبة ملكيات خاصة يتوجب على اصحابها دفع ضريبة العشور<sup>1</sup>.

وتحدد كمية المحاصيل الزراعية المأخوذة كالعشور بعدد الزويزات أو الجابدات المحروثة دون النظر الى الكمية الحقيقية للحصاد وتقدر فيها ما بين 12-14 هكتار في السهول الخصبة وبين 8-10 هكتارات في النواحي الوعرة وتحدد عموما ب10 هكتارات والتي يستعمل لزراعتها حوالي 6 أحمال قمح و4 أحمال شعير<sup>2</sup>.

كانت العشور يتم تحصيلها بانتظام كل موسم ويتم استخلاصها من طرف أشخاص معينون من المحلة ويعرفون بمقادير العشور وغيرها موزعون على الأوطان دار السلطان وكانت أوامرهم يتلقونها من قائد الجيش المعروف بأغا العرب الذي له الحق في تعيين القياد من بين الشيوخ وحكام الاوطان

ويتم تجميع هذه العشور في مخازن مخصصة لذلك داخل أصوار البايك اذ يكلف الباي بتسليم هذه الضرائب وحمل نصيب منها الى الجزائر في فترة تقدر ب6 أشهر ، كما يقول الزهار : ان الخلفاء كانوا يأتون آخر الربيع فيخرجون معهم المحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار<sup>3</sup>.

يبدأ قياد العشور مهامهم بالتواصل المباشر مع الفلاحين ،حيث يحرصون على زيادة المزارع (الأحواش) خلال فترات الحرث ومواسم الحصاد برفقة قياد الاوطان ودعم عسكري تعرف بالصباحية خلال هذه الزيارات يتم تقدير كمية العشور من خلال الرجوع الى أعيان الجماعات وشيوخ القبائل لتحديد الزويزات أو الجابدات المحروثة ، وبهذا يصبح شيوخ القبائل ملزومين بما تم التصريح .

وتوثيقه في السجلات الخاصة بالعشور ،المعروفة بالجريدة فتوضع منها نسخة في الإدارة المركزية الجزائر (1) تعتبر العائدات الناتجة عن نظام العشور ذات أهمية كبيرة بسبب المساحة الواسعة التي تفرض عليها ،حيث شكل الثلث من أراضي بايلك الشرق اراضي زراعية تعود ملكيتها لأفراد وكانت خاضعة لهذا النظام الجبائي (2) فقد قدرت نسبة العشور فيه أواخر العهد العثماني 418716 بوجو أي ما يعادل 778811 فرنكا (3) 204762 قيسة من الشعير والقمح .

رغم أن هذه الضريبة ضريبة إسلامية إلا أن التجاوزات التي حدثت من مستخلصها جعلها تفقد معناها

<sup>1</sup> حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص23.

<sup>2</sup> الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص35.

<sup>3</sup> - ناصر الدين سعيدي، النظام المالي ، المرجع السابق ، ص90.

الحقيقي وتحول إلى عبئ مالي على الفلاح

ب — الزكاة: تعتبر الزكاة ضريبة شرعية متعارف عليها لكونها مأخوذة من الدين الاسلامي وهي ركن من أركان الاسلام وقد نص عليها الكتاب والسنة وذلك من خلال قوله تعالى: ((.... فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولكم)) سورة الحج الآية 78 واعتبرت واجبا شرعيا لايحوز التخلف عن دفعها لهذا دافع عنها العثمانيون وتستخلص من الحبوب والثروة الحيوانية ، اذ يطلب من المربي ان يدفع بعض الرؤوس حسب تقدير الزكاة له كما في الحبوب حيث أصبحت تؤخذ من كل ما يوفره القطيع من صرف وزبدة وجلود كما أضيفت إليها بعض المنتجات النوعية كالعسل والشمع والتمر<sup>1</sup> الى غير ذلك . الزكاة نورمال هاما من الموارد الخزينة حيث توفر مداخيل جد معتبرة سواء عينة أو نقدية وتعود أهمية هذه العائدات إلى المساحات الكبيرة فمثلا أراضي بايلك الشرق كانت تخضع لنظام الجباية تحت تصرف المحلة<sup>2</sup>

اختلفت الزكاة من بايلك لأخر فبايلك الشرق كان الباي نفس ما يدفعه بايلك الغرب من القمح دون الشعير ويزيد الفي رأسا من البقر إضافة إلى التمر و الزيتون ،وفي فصل الصيف يبعث مركبا مشحونا من الشحم والسمن من مرسى عنابة<sup>3</sup> تتولى المحلة جباية أموال الزكاة وغيرها من الضرائب من القرى والقبائل مما جعلها من أهم المؤسسات الإدارية في تحويل خزينة الدولة .

<sup>1</sup> - احمد الشريف الزهار المرجع السابق ص47

<sup>2</sup> - شهرزاد شبلي :المرجع السابق ص 210،211.

<sup>3</sup> - نصر الدين سعيدوني الملكية والجباية

حيث تم تعيين قادتها من طرف الداي وهم الكاهية ،الاغا والشواش وقاضيان يتولون النظر في القضايا إلى تواجدها المحلة وبعض الخوجات للاعتناء بالدفتري الذي يحمل اسماء الفرق والقبائل والمقادير المالية المفروضة ويساعد المحلة شيوخ القبائل بحساب عدد الماشية ونوعها ليتم بعدها تحديد قيمة الزكاة حتى السكان كان لهم دور في ذلك باعتناء الدواب وبعدها كل واحد منهم يأخذ أجره من الضرائب المستخلصة ، وعند امتناع القبائل دفع الضرائب يتم إجبارهم على الدفع بالقوة مثل :حملة أحمد الملوك باي الشرق 1818م على بيت جلاب وحملة النمامشة 1822م من طرف ابراهيم بن علي في الشرق كانت عليه جمع الضرائب تتم مرتين في السنة وتختلف مدة بقاء المحلة في الأرياف من منطقة ففي بايلك تدوم جولاتها لمدة 6 اشهر ،وكانت المحلة حق في الغنيمة حيث يحصل كل واحد على 10ريالات بوجو<sup>1</sup>، تدفع الزكاة على كل قبيلة بشكل مشترك بالتشاور مع شيخها وفي حالة أزمة يتم الخير عملية دفع الضريبة إلى سنة اخرى وتسمى "بالسلف"تسلم نقدا أو عينا.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - مبارك بن محمد الهلالي الميلي تاريخ الجزائر في القديم و الحديث جزء 3 مكتبة النهضة

<sup>2</sup> - المحلة:هي فرقة وتحصيلات محلية مكلفة ب جلب أموال الزكاة وغيرها من أنواع الضرائب ويتحمل الأهالي نفقات اطعامها ومصاريفها ،انظر مؤيد محمود محمد المشهداني ،رشيد رمضان سلوان ،أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1830.1518مجلة الدراسات التاريخية والحضارية العدد 16المجلد 5,2013مجلة صفحة 423422

## المطلب الثاني: الضرائب المستحدثة

أ — ضريبة الزمة: سميت هذه الضريبة بهذا الاسم لأنها ألزمت بها القبائل التي تقطن الجبال والمناطق الصحراوية كذلك كانت بمثابة الخراج التي جاءت في الاحكام الشرعية تهدف هذه الضريبة الى اعانة الجند والمساهمة في الدنوش وهي تحل محل العشور والزكاة على القبائل البعيدة عن نفوذ البايك ولا توجد لها معاملة مع موظفيها ووقت جمعها يكون في الخريف والربيع وكانت مدفوعاتها في بايلك الشرق الشرق يقدم 80 ألف ريال كبيرة.<sup>1</sup>

و هي مساهمة عينية ونقدية لمساهمة المقاطعات في مداخيل الخزينة العامة للجزائر والمسمى بالدنوش الصغرى وتكون مساهمة فصلية اما الدنوش الكبرى فهي سنوية<sup>2</sup> واللمزة ينظر إليها عادة خطأ على أنها هي الغرامة لكن هذا النوع يهدف إلى تعويض الضريبتين العشر والزكاة<sup>3</sup>، وقد تحديد قيمة الضريبة وفقا للحصول الزراعي و رؤوس المواشي حيث تتراوح ما بين 10 او 15 بوجو لكل أسرة ويمكن أن تنخفض القيمة اذا كانت الأسرة ميسورة الحال فلا تتجاوز خروفا واحدا اي ما يعادل 2 بوجو

| القبائل      | اللمزة بالبوجو | بالفرنك  |
|--------------|----------------|----------|
| قبائل بجاية  | 21.360         | 348.48   |
| ساحل البابور | 7556           | 13510.80 |
| فرجيوة وميلة | 25635          | 461.43   |
| المجموع      | 122.055        | 98101.80 |

ب- الغرامة: لقد حلت هذه الضريبة مكان العشور في حالة تعذر إخضاعها ، كانت مثل اللزمة تفرض على سكان مناطق الجبال الخارجة عن السيطرة والموجودة في الصحراء والهضاب العليا وكان استخلاصها يكون نقداً وعيناً وفي غالب الأحيان تكون على شكل مواشي ومواد غذائية لتوزيعها على السكان، وتحدد قيمة الغرامة على حسب الخيام والبيوت التي تقوم بجبايتها المحلة العسكرية، خروف و 16

1 - فلة القشاعي ، المرجع السابق ، ص 67.

2 - فاطمة الزهراء سيدهم موارد ايالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر دورية كان التاريخية العدد الثالث عشر 2011 صفحة 23

3 - ناصر الدين سعيديون الحياة الريفية صفحة 181.

قطعة نسيج خيام من وبر الجمال، و 12 كيس جلود الماعز و 12 سرج للبالغ أما عشائر الحنانشة والناممشة كانت غرامتها تقدر عادة بـ 3000 خروف سنوياً.

ج- الخطية: تفرض ظرفياً على القبائل التي تم إخضاعها من طرف جنود المحلة، كما يتم فيها إجبار الأهالي على دفع الضريبة إثر جنح أو مخالفات فردية أو جماعية بسبب منازعات فردية أو جماعية أو أعمال عدوانية في السوق أو تعدي على المرابطين، لكن الصعب إذا لم يتم التعرف على صاحب المخالفة يتم فرضها تلقائياً على كل أفراد القبيلة عشوائياً، وتكون غنائم الجنح من نصيب القادة

د- الدنوش: عندما تصل الدنوش التي يقودها الباي يستقبلها آغا العرب والخزناجي وبعض الموظفين عند عين الربط ويصطحب الباي وحاشيته إلى قصر الداى حيث توزع الهدايا على الموظفين حسب الرتبة وحسب حجم الهدية، ويبقى الباي في ضيافة الداى 7 أيام ثم يعود إلى مركز الولاية حيث يتضمن هذا النوع من المال الذهب والفضة والأثاث الفاخر والطيب والجواري وغيرها لكون هذا الحدث يقع مرة كل ثلاث سنوات وينتظرونه بفارغ الصبر. أما محلة الدنوش فتبلغ حسب تيدنا 150 دابة.<sup>1</sup>

أما الدانوش الصغرى أو ما يعرف بالدانوش الخليفة حيث كانت فقرته اقرب من الاخرى ، فقد كان يقدمه خليفة الباى الى الداى كل 6 أشهر في فصل الربيع والخريف حيث كان البايات يرسلون خلائفهم في سبتمبر وأفريل لتقديم الدانوش أو الضرائب<sup>2</sup>.

تعد ضريبة الدنوش من أهم مصادر الرئيسية للخزينة الدولة بعد أن تراجعت غنائم الجهاد البحري وتقلصت الثروات للسكان المدن ان قيمة الدنوش تخضع لارتفاع أو لانخفاض وفق الأصول الاقتصادية السائدة في الفترة القديمة ولقد كانت عملية تقديم الدنوش كيفية حدوثها وانتم بطريقة جديرة، حيث كان قدوم الدروس الكبرى مظهر رائع يعتبر عيداً حقيقياً وكان الباى يستعد لإعداد هـ مدة معينة من الزمن ثم ينطلق من الجزائر في وقت المحدد وقد ذكر سعيدوني

<sup>1</sup> نصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية ، ص338.

<sup>2</sup> فلة. القشاعي ، المرجع السابق ، ص67.

ان الباى يستعد ورجال حاشيته لحمل الدنوش والعوائد في الجزائر وكان يحق به 3آلاف فارس من القبائل الحليفة وكان على رأس القافلة مكونة في العادة من ثمانين بغلا محملا والأقمشة الصوفية والحريرية وانواع من المنتوجات المحلية كالجبال الرفيعة و البرانس البيضاء والسوداء وجلود الفلالي الحمار والأقمشة الصوفية والحريرية إضافة إلى الأحذية والسروج المطرزة والعطور إضافة إلى مجموعة الخيل والبغال والجمال والمواشي وكميات من الشمع والعسل والزبدة والأرز والحبوب والزيتون و الكسكس<sup>1</sup> يستقبل الاغا والعرب والخزناجي وبعض الموظفين القافلة عند عين الربط بعد استقبال البهيج فيقوم الباى بتوزيع مبالغ كبيرة على مستقبله<sup>3</sup> ويحظى الداى أيضا على عشرين ألف دورو.

بعض الهدايا الثمينة المتمثلة في أربعة من الخيل العتاق ونحوه في عيد كبير و 20عيد صغير من عبيد السكان وغير ذلك من الهدايا التي لها دور في اكساب رضا الداى ففي حالة الرضى يكون الباى ضيفا هو وحاشيته عند الداى مدة اسبوع بعدها الى مركز ولايته كانت كمية الدنوش التي يدفعها بايلك قسنطينة في غالب الأحيان في تصاعد ويكاد يقارنه بايلك الغرب لكن بايلك تيطري وقبائل سباو واوطان دار السلطان لم تكن تمد الا بمواد ضئيلة وهناك رسالة الحاج احمد باي إلى الداى حسين سنة 1827م أخبره فيها بأنه ارسل هدية احتوت على هدايا متنوعة متمثلة في قافلة الأمر والزيتون ، فرسين اثنين من الخيل إحداهما حمراء اللون والاخرى زرقاء اللون و مستويين اثنين وقندورة اما فيما يخص الغنائم البايك فقد بعث احمد رسائل ال الباى حسين يخبره فيها عن الغنائم البايكية مثل الرسالة احمد باي إلى حسين باشا أوائل صفر 1243هـ يخبره بتمرد قبائل النمامشة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - نصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، مرجع سابق، ص139.

<sup>2</sup> - نصر الدين سعيدوني، النظام المالي، مرجع سابق، ص96.

## المبحث الثاني: الضرائب في المدينة والريف

### المطلب الأول : الضرائب في المدينة

كما تحدثنا سابقا عن أنواع الضرائب وكيفية تحصيلها سنتطرق الآن الى كيفية عمل المحلة في جباية المدن وماهي العوائق التي سوف تواجهها في المناطقان أغلب المناطق التي تقصدها المحلة لجباية الضرائب هي المدن لكونها العمود الفقري للاقتصاد أكثر من الارياف التي تجد فيها صعوبة نذر فيها على سبيل المثال واد الصومام التابع لبايك قسنطينة<sup>1</sup> ، كما كانت المحلة تضطر الى الاستعانة ببعض القبائل القاطنة هناك وهذا بالرغم من الدعم الذي يقدمه المحلة والقبائل المخزن ومع هذا يتم استخلاص القليل من الضرائب لافتقار أراضي تلك المنطقة والكيفية التي تستعملها السلطة العثمانية في المدن تجعل سكان القبائل تدفع ضرائبها ويقع ذلك في مجموعات<sup>2</sup> تسمى الحاميات العسكرية أو ما يسمى بالنوبة.<sup>3</sup>

ونلاحظ أن النظام الضريبي كان يتميز بالتنظيم والمرونة فالادارة العثمانية كما ذكرنا أحيانا تفتح ابواب التفاوض والتشاور مع السكان حول تحديد قيمة الضريبة وطرق دفعها وكانت الادارة صارمة في تطبيق القوانين الخاصة بالضرائب كما ذكر حمدان خوجة في كتابه قال: عندما علم الاتراك ان جبات الضرائب يقومون بالتجاوزات أي أن الدولة لم تكن تقبض بالضبط جميع المبالغ التي تعود لها. حيث أنشأت الدولة العثمانية مصلحة الجمارك كانت تفرض رسوما على الصادرات والواردات حيث حددت 5 بالمئة بالنسبة للمسلمين والاوربيين ، بالإضافة الى السلطة التشريعية حيث تنظر هذ السلطة في القضايا الاجرامية وغيرها التي تكون في وسط السلطة ورأس الدولة وشخص آخر<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عزيز سامح التر : الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية ، تر، محمود علي عامر ، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1989، ص 187.

<sup>2</sup> أحمد السليمان، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، داي حلب ، الجزائر، 1993، ص19.

<sup>3</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ، ص129.

<sup>4</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ، مرجع نفسه ، ص67

### المطلب الثاني: الضرائب في الريف

بالنسبة لجمع الضرائب في الريف فالكيفية التي كانت تجمعها الدولة الضرائب في الريف والقرى والمدامر والعلاقة التي كانت بينهما وتعامل جنود المحلة مع انواع المتمردين في شتى المناطق ، وهنا نعطي لمحة عن هذه الضرائب والمفاوضات وكيفية احصائها.

لقد كان باي قسنطينة يحاول كسب ثقة الشعب باكتفاء بقبض 15 فرنك فقط مكان الاشراف بحمولة بغير كامل من القمح واخرى من الشعير عن كل محراث ، كما كان للفلاحين مقابل 27 فرنك فقط عن كل ما يمكن ان يغطيه طوال السنة محراث يجره ثوران وبالنسبة لضرائب الريف فقد ذكرنا ان اغلبها يذهب للعشور والزكاة ويمكن ان نذكر هنا جانب من الضرائب الارياف واتي تفرض على الاراضي البابلك<sup>1</sup>

أ- نظام الخماسة:

يمكن أن نعبر عنه بعقد استئجار يحصل بموجبه الخماس على أجرة عينية مقابل خدماته في أعمال الحرث والحصاد خلال السنة وتعتبر ممارسة قديمة ترسخت في التقاليد والعادات والأعراف والتي فرضتها الحاجة الاقتصادية، وهذا النظام يمكن الفلاح من العمل في الأراضي التابعة للدولة مقابل خمس انتاجه بعد أن توفر له الدولة ما يلزمه. وقد تم تدعيم هذا التعامل الفلاحي من خلال العرف السائد في الأرياف فأصبح يقوم أساساً على إثبات حق اقطاعي في العمل الزراعي وهذا مقابل جزء من محصول، ويوفر للعاملين بهذا الأسلوب لمدة تسعة أشهر ملجأ عدوماً يسمح للشخص بتدبير أموره وأمور أهله، وتوجد بعض الإقطاعات بفعل بعض الظروف الاجتماعية أصبحت تتميز بأساليب زراعية بسيطة

كان نظام الخماسة يوفر لأصحاب الأراضي وخزينة الدولة مداخيل كبيرة من الحبوب والتين حيث يوفر احتياطاً هاماً لمواجهة المواسم السيئة مما سمح بإعالة الآلاف من الفلاحين الذين كانت عدد أيام عملهم بـ 90 يوماً في السنة<sup>2</sup>، حيث إن انتاج الجاذبة الواحدة يصل إلى

<sup>1</sup> حمدان خوجة بن عثمان، المصدر السابق ، ص106..

<sup>2</sup> شريف الزهار ، مصدر سابق ، ص35..

22 صباع من القمح و 51.5 صباع شعير و 68 كيس تين أما حصة الفلاح منها فهي 5.5 صباع قمح و 14.5 صباع شعير و 14 كيس تين<sup>1</sup>.

ب- نظام التوزيع:

تعتبر التوزيع أكثر أشكال التضامن القروي شهرة، وكثيراً ما تجد الفرصة للظهور في أراضي الأوقاف ويلاحظ أن الأب هو الذي يمثل أفراد أسرته في احتفالات القرية وينوب عنها في التجمعات المسجدية لم تبعد التوزيع أبداً طابع الواجب وإنما ترسخت في أخلاقيات سكان الأرياف حيث يعين الفلاح زملائه في العمل وكانت تدوم عدت ايام بامر من البايك ، فيقومون بأعمال الزراعة في مزارعهم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - عائشة غطاس ، الدولة الجزائرية ومؤسساتها ، ط خ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر ، 2007 ، ص58.

<sup>2</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ن مرجع سابق ، ص67.

# الفصل الثالث

## انعكاسات النظام الضريبي

المبحث الأول : الآثار الاقتصادية

المطلب الأول : تأثير الضرائب على الفلاحة

المطلب الثاني : تأثير الضرائب على التجارة

المطلب الثالث: دور الضرائب في تمويل البايلك

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية والسياسية

المطلب الاول : أوضاع الفلاحين والقبائل

المطلب الثاني: التمردات والثورات الضريبية

المطلب الثالث: موقف الساكنة من الإدارة العثمانية

## الفصل الثالث: انعكاسات النظام الضريبي على الساكنة

### المبحث الأول: الآثار الاقتصادية للنظام الضريبي

#### المطلب الأول: تأثير الضرائب في الإنتاج الفلاحي

شكّل القطاع الفلاحي بشقيه الزراعي والرعوي ركيزة الاقتصاد في بايلك الشرق، وكان في الوقت ذاته الوعاء الرئيسي للمنظومة الجبائية، أدى ثقل الضرائب الزراعية وتراكمها لدى الفلاحين تمثلت في العزوف عن توسيع الرقعة المزروعة أو تحسين أدوات الإنتاج؛ لقناعتهم بأن أي فائض في المحصول سيعود الى ضريبة ، أن المزارعين آثروا عمداً الاكتفاء بالإنتاج المعيشي. وهي الظاهرة التي وصفها دوماس بدقة بـ "اقتصاد الحذر"، حيث يعتمد الفلاح على تقليص الإنتاج ظاهرياً للبقاء بعيداً عن دائرة اهتمام السلطة).<sup>1</sup>

كانت سنوات الجفاف أو غارات الجراد مأزقاً للفلاح؛ في ارتفاع الديون والمديونية وكانت سببا في تماطل دفع الضريبة في موعدها ، ولم يكن أما الفلاحين سوى من كبار الملاك العقاريين أو التجار المرابين بشروط مجحفة، مما كرّس مديونية مزمنة قادت في نهاية المطاف إلى تجريد عائلات ريفية واسعة من أراضيها وتحويلها إلى أراضٍ تابعة للملاك الجدد).<sup>2</sup> أسهمت عجز الأسر عن دفع المتأخرات الضريبية في إعادة صياغة خريطة الملكية الزراعية بصورة مستمرة؛ إذ اضطرت العائلات العاجزة إلى بيع أراضيها لصالح فئات نافذة، أو صودرت أراضيها لصالح الدومين العام للبايلك (أراضي البايلك). وأفضى هذا النظام الجبائي تدريجياً إلى تمركز الملكيات الخصبة في أيدي قلة من النخب الحضرية والقبلية، مقابل اتساع شريحة الخمسين والعمال الزراعيين المعدمين<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نصر الدين سعيدي ، النظام المالي ، ص 128.

<sup>2</sup> فلة القشاعي ، مرجع سابق ، ص 23.

<sup>3</sup> مؤيد حمد محمود المشهداني ورمضان سلوان رشيد ، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1815-1830 م ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، ع 16 جامعة تكرت ، الجزائر ، 2013 ، ص 119.

## المطلب الثاني : أثر الضرائب في التجارة

أسهم النظام الجبائي من خلال تنشيط صادرات الحبوب عبر ميناء عنابة في توفير سيولة نقدية وعائدات جمركية معتبرة لخزينة البايلك. إلا أن الجانب الآخر تمثل في إثقال كاهل التجارة الداخلية برسوم المكوس المتعددة عند مداخل المدن والمعابر، مما حدّ من نمو السوق المحلية الموحدة وزاد من كلفة السلع على صغار التجار والباعة المتجولين.<sup>1</sup>

أسفر التوسع في تطبيق نظام "الالتزام الجبائي" عن صعود فئة محدودة من كبار التجار والملتزمين القادرين على دفع المقطوعات المالية مسبقاً للباي، مستغلين نفوذهم في تحصيل هوامش ربح ضخمة وقاسية من الساكنة. وأدى ذلك إلى نشوء ثروات طائلة ارتبطت بالريع الجبائي لا بالإنتاج المباشر، مما أوجد بيئة اقتصادية طفيلية أضرت بالنسيج الإنتاجي العام.<sup>2</sup> من زاوية بنوية، شكّلت هذه العائدات المورد الأساسي لتمويل الجهاز الإداري والعسكري وضمان استمراريته، وصيانة التحصينات والقلاع. كما وُجّهت أجزاء منها لتمويل النهضة العمرانية التي شهدتها قسنطينة لا سيما في عهد صالح باي، حيث يُشير فيراو إلى أن بعض تلك المشاريع — كبناء الجسور وترميم الطرق — حملت آثاراً اقتصادية إيجابية تمثلت في تسهيل حركة القوافل التجارية وتقليل كلفة النقل.<sup>3</sup>

عانت المالية العامة للبايلك من هشاشة بنوية تظهر جلياً في سنوات الأزمات؛ فحين كانت الحصيلة الجبائية تتراجع حاداً بفعل الجفاف أو الحروب القبلية، كانت النفقات العسكرية وجزية المركز تظل ثابتة. ولم تجد الإدارة فكاكاً من هذا العجز سوى بفرض ضرائب استثنائية جديدة أو تأخير دفع رواتب الأوجاق، وهو ما كان يحمل في طياته بذور القلاقل السياسية<sup>4</sup>

<sup>1</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ، ص212.

<sup>2</sup> محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، ت ح محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص35.

<sup>3</sup> وليام شاكر ، مذكرات وليام شاكر ، قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تعليق وتقديم اسماعيل العربي ، ص125.

<sup>4</sup> أحمد عبد العزيز المدني ، الموارد المالية في الاسلام ، ذات السلاسل للنشر والتوزيع ، الكويت 1994 ، ص177.

### المطلب الثالث: دور الضرائب في تمويل البايلك وإشكاليات التوزيع

تبين أرقام الإنفاق أن الكتلة الكبرى من الأموال المجابة كانت تُضخ في قنوات غير إنتاجية؛ حيث يذكر سعيدوني أن ما بين 60 و70 بالمئة من الإيرادات كانت تُستنزف في النفقات العسكرية والأمنية وإدارة دار الباي، في حين لم يرجع إلى المجتمع سوى نزر يسير في شكل خدمات أو بنى تحتية عامة، مما صبغ الدولة بطابع ريعي يعتمد على جباية المجتمع بدل تنميته<sup>1</sup>

مثلت الصرة (الجزية السنوية) التي كان باي قسنطينة ملزماً بنقلها شخصياً إلى داي الجزائر نزيفاً حقيقياً لثروات الإقليم الشرقي؛ إذ كانت الثروة تُنتج في الأرياف والأوطان الخصبة لبايلك الشرق، وتُحوّل نقداً وعيناً إلى العاصمة، ومنها يُرسل جزء إلى إسطنبول.<sup>2</sup>

### المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية والسياسية للنظام الضريبي

#### المطلب الأول : أوضاع الفلاحين والقبائل في ظل الجباية

كان الفلاح في أرياف بايلك الشرق يقع في قاع الهرم الضريبي، متحاملاً العبء التراكمي للمنظومة؛ من ضريبة الباي، إلى عمولات الوسطاء والأمناء، وصولاً إلى فوائد ديون المربين. وقد رصد بيليسيه دو رينو هذا التفاوت البنيوي، ملاحظاً أن الفلاح كان يقبل على موسم الحصاد وهو يدرك سلفاً أن القسم الأعظم من جهده قد صودر قانوناً، وأن ما يتبقى لسد رمق عائلته لا يتجاوز الكفاف وفي هذا السياق، تضاعف العبء على المرأة الريفية التي تحملت مسؤولية استمرار الإنتاج المعيشي والحرفي في الدوار عند اضطراب الرجال للتواري أو الهجرة هرباً من ملاحقات عمال المقطوعة.

لم يكن موقف القبائل موحداً، بل توزعت على طيف متباين يعكس مستويات النفوذ العسكري؛ فمن قبائل "المخزن" المندمجة في جهاز الدولة والمتمتع بامتيازات وإعفاءات شاملة، إلى قبائل "الرعية" الخاضعة تماماً والمثقلة بالالتزامات، وصولاً إلى قبائل "الممتنعة" المحصنة

<sup>1</sup> نصر الدين سعيدوني ، الملكية والجباية ، ص212.

<sup>2</sup> بحوش عمار ، المرجع السابق ، ص67..

في جبالها والتي فرضت على السلطة منطق التفاوض المستمر والمماثلة في دفع الإتاوات  
الرمزية<sup>1</sup>

عمق النظام الضريبي الفجوات الطبقية داخل المجتمع؛ حيث حظيت البيوتات النافذة،  
وشيوخ التراب الموالون، وقبائل المخزن بإعفاءات واسعة، بينما وُجّه الضغط المالي بكثافة نحو  
الفئات الهشة من صغار الكسابة والفلاحين. وجعل هذا التفاوت الاستياء دفيناً وعميقاً، وغدّى  
مشاعر المظلومية التي كانت تتحول عند أول بادرة ضعف للمركز إلى انتفاضات مسلحة<sup>2</sup>.  
أسهمت الضغوط الجبائية في تسريع التفكك الداخلي للقبيلة؛ إذ أفرزت آليات التوزيع  
الضريبي صراعات حادة بين العائلات داخل العشيرة الواحدة حول نسب السداد، وتصادت  
التوترات بين الشيوخ (بوصفهم وسطاء للجباية وعمالاً للباي) وقواعدهم القبلية التي تتهمهم  
بالتحيز والمحاباة. ويرى نوسشي أن هذه التصدعات أضعفت اللحمة القبلية التقليدية، مما فتح  
المجال أمام السلطة المركزية لاختراق هذه البنى وضبطها<sup>3</sup>.

#### المطلب الثاني: التمردات والثورات

تميزت بداية مراحل الحكم العثماني في الجزائر خلال القرن 17م، وبداية القرن 18 بكثرة  
الفساد فكثرت الاغتيالات السياسية المعارضين لهم حيث تمثلت هذه السياسة المنتهجة من  
طرف الحكام الى تهमيش الاهالي وإبقائهم بعيداً عن تقليد مناصب عليا ، وقد كانت هذه  
السياسة المنتهجة من قبل الحكام في قيام كثير من الثورات والتمردات وذلك بعد ارهاق كاهل  
السكان بالضرائب مما اضطرهم الى التصدي لها بقوة عن طريق الجيش وكان يُشرف على  
البايلك قسنطينة بايات معينة من طرف الداوي ويعملون على تدعيم الخزينة من خلال جباية  
الضرائب حيث يقدمون كل ثلاث سنوات للخزينة الدنوش.

<sup>1</sup> فلة القشاعي ، مرجع سابق ، ص77..

<sup>2</sup> -محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط1 ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،  
القاهرة ، مصر 2002 ، ص 112.

<sup>3</sup> عمار بحوش ، المرجع السابق ، ص67.

ومع بداية القرن 18 عرف بايلك قسنطينة اختلالاً في التوازن المالي انجر عليه ضغط على الأهالي خاصة سكان الأرياف لتغطية هذا العجز الأمر الذي أسهم بنشوب ثورات عديدة ليجد السكان عن عدائها وكرهيتها لنظام الحاكم وسياسته الفاشلة.<sup>1</sup>

شكّلت الجباية الجائرة والضرائب الاستثنائية المحرك المباشر لأغلب الحركات الاحتجاجية والمسلحة التي شهدتها بايلك الشرق. وتبين القراءة التاريخية أن شرارة التمرد كانت تندلع عادة في أعقاب مواسم قاحلة تصر فيها الإدارة على استيفاء المقادير كاملة، حيث يرتفع شعار "رفع الظلم والجور" كركيزة للمقاومة .

شهدت جبال الأوراس، ومواطن النمامشة والحنانشة، جولات متكررة من التصادم العسكري مع حملات المحلّة؛ وكانت المقاومة القبلية تتخذ طابعاً دفاعياً صلباً يهدف إلى كسر شوكة الحملة وإجبار الباي على مراجعة السقوف الضريبية وتخفيضها. ويوثق فيراو العديد من هذه المواجهات، مؤكداً أنها كانت تنتهي في الغالب بتسويات سياسية مرنة يُصدر فيها الباي عفواً جبائياً ويخفّض المشروط مقابل إعلان شكلي بالعودة إلى الطاعة). ومن أبرزها حركات الأوراس في القرن الثامن عشر التي رفضت دخول المحلّة إلى مجالاتها الحيوية، وكشفت عن العجز البنيوي لجيش البايك في حسم المعارك داخل التضاريس الجبلية الوعرة<sup>2</sup>

لم تكن الحواضر بمنأى عن المقاومة، إذ عبّر أصحاب الحرف وصغار التجار في مدن مثل قسنطينة وعنابة عن تظلمهم من ثقل رسوم المكوس وابتزاز الأمناء عبر وسائل تراوحت بين "الإغلاق العام للأسواق" (الإضراب) ورفع العرائض الجماعية إلى ديوان الباي، وهي احتجاجات تميزت بطابعها السلمي والتفاوضي مقارنة بعنف الأرياف).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الحنفي هلايلي ، التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع 1 ، جامعة بلعباس 2018 ، ص 12.

<sup>2</sup> صالح فركوس ، الحاج أحمد باي ، قسنطينة 1826-1850 م ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2009 ، ص 20.

<sup>3</sup> اسيا قطوش ، الثورات المحلية في الجزائر من خلال المجلة الافريقية اثناء العهد العثماني ، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ كلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة المسيلة ، 2004 ، ص 47.

لعب شيوخ الطرق الصوفية (كالرحمانية والقادرية) والعلماء دوراً محورياً كوسطاء أُنقنوا الموازنة بين السلطة والساكنة؛ إذ تدخلوا مراراً لدى الباي لطلب "الإسقاط الضريبي" عن الأقاليم المنكوبة بالأوبئة أو الجفاف، مستندين إلى شرعيتهم الروحية. وقبلت السلطة هذه الوساطات طوعاً لتجنب تحول الاحتجاج المالي إلى ثورة دينية شاملة، وغدت الزوايا — كما يذكر غرامون — صمام أمان اجتماعي منع انهيار الخيط الرابط بين المجتمع والدولة في لحظات الاحتقان القصوى .

ومن بين الثورات:

ثورة ابن الاحرش (1804-1807م) في اقليم الشرق: تنسب هذه الثورة الى محمد بن عبد الله الشريف الملقب بالبودالي ، الذي تزعم الانتفاضة في الشمال القسنطيني في عهد محمد باشا 1798-1805 الذي كلف عثمان باي بالقضاء على ابن الاحرش ، وابن الاحرش هو احد اتباع الطريقة الدرقاوية ، انطلقت ثورت في بايلك الشرق مع بداية سنة 1804م بعدما تهيئت له عدت أسباب داخل البلاد منها ، انتهاج البايات للسياسة المالية المجحفة هدفها جمع الضرائب واستخلاصها ، اضافة الى الفساد الحاصل في البلاد بعد تواطئ الداوي مصطفى مع اليهوديين بكري وبوشناق مما عرض البلاد للمجاعة والقحط الشديد.

توجه ابن الاحرش الى عاصمة البايك فحاصرها 1219هـ-1804م ، فرفض أهلها تسليمها وصمموا على المقاومة حتى النصر او الموت ، فسعوا الى حمايتها فجهزوا جيشا حوالي 1000 مقاتل بقيادة احمد بن الابيض وبن الفكون ، فالتقى الجمعان فبدأت المعركة ، انتهت بانتصار الأهالي وهزيمة بن الأحرش

وتراجعته الى وادي الزهور ، وقتل الكثير من أتباعه نحو 200 قتيل ، في صفوفه وحاول الاستلاء على المدينة مرة ثانية لكنه فشل بسبب قوة مدافعها وانشغال جيشه بجمع الغنائم ونهب الاسطبلات ما أوقع فوضى بين صفوفه.

بعد موت عثمان باي استقدم قائد شيخ العرب بقسنطينة عبد الله خوجة وأولاده بايا على قسنطينة ثم جهز محلة وخرج لطلب لابن الاحرش ونجح في هزيمه قرب مدينة ميله والقضاء

على ثورته ، حيث اضطر للفرار والتحاق بشيخ الدرقاوي بباليك الغرب 1807م وخاض عدت معارك ، منها معركة يوم السدرة ومعركة الجداوية وغيره<sup>1</sup>.

2- ثورة ابن الصخري: تعد هذه الثورة من أبرز الحركات الاحتجاجية التي هزت أركان الحكم العثماني في بايلك الشرق خلال القرن 17 ولقد كتب عنها المؤرخ بيروبرغر berbrugger مقالا في المجلة الافريقية سنة 1866 بعنوان ملاحظات حول ثورة ابن الصخري

وصف فيها هذه الانتفاضة بأنها شكلت انقطاعا مهما في استمرارية السيطرة العثمانية

ويذكر من اسباب هذه الثورة أن مراد باي لم يكن يجهل الدسائس التي كان يحكيها الأجانب والمتعاونون المحليون ولذلك تجند لمقاومتهم سواء في منطقة القالة وعنابة او في الحانشة في الشرق او في الذواودة في الجنوب وكان اخطر ما واجهه ثورة ابن صخري شيخ العرب جنوب باي بايلك الذي امتدت بعد ذلك لتشمل كل البايك، ولقد كان سكان ناحية القالة والبونة بعمالة قسنطينة منتفعين بمعاملات تجارية التي كانت بالمنشآت التجارية الساحلية فراجت الحركة الاقتصادية بين السكان والاجانب فلما دمرت الحكومة المركزية تلك المنشآت بسبب الخلاف والنزاع بين الشركات والجنوبية وأمر الديوانعلى بدشين بتدميرها ومصادرة أموالها سنة 1637 فتأثر سكانها بنقص مداخلها وامتنعوا على دفع الضرائب<sup>2</sup> معلنين ثورتهم بزعامة شيخ العرب بوعكاز شيخ العرب، ويذكر بيروبرغر berbrugger أن بداية الثورة كانت في سبتمبر 1838 حيث رفض أهل قسنطينة دفع الضريبة السنوية معرفة باسم اللزمة أو العشر فأرسل باشا الجزائر فأسل باشا الجزائر يوسف حملة بقيادة مراد باي قسنطينة لإجباره عن دفع مقاومة القبائل بشدة فاضطر مراد الى طلب المساعدة من الجزائر العاصمة فارسلت اليه قوة كبيرة قوما 20 ألفا بقيادة القائد يوسف<sup>3</sup> ، أما المصادر المحلية ذكروا ان سبب الاضطرابات لم يكن مجرد رفض للضريبة بل بعد ان سمعوا بأنباء مقتل شيخ العرب محمد بن صخري

<sup>1</sup>. زينب الجعيني ، ثورة بن الاحرش في بايلك الشرق 1800- ، 1807 مرجع سابق ص45.

2- خليفة حماش ، الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة مونتوريا ، قسنطينة ، الجزائر 2006 ، ص 75 .

<sup>3</sup> - جميلة معاشي ، الاسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري ، مرجع سابق ، ص146.

وأفراد عائلته وبدأت المناوشات اليومية مع المتمردين الذين دافعوا عن أنفسهم ، ورأى مراد أن رفض هؤلاء دفع الضريبة لم يكن سوى ذريعة وانهم في الحقيقة يريدون الانتقام منهم.

وفي صيف 1639م القضاء على الثورة وعاود علي باشا إرسال جيش آخر وخرج بنفسه ضد خالد بن محمد بن علي وقتل آخر المعركة القائد ، واستمرت الثورة بالشرق الجزائري متأججة ومعززة بالثورة القبائل الكبرى فتوسط آغا يحيى شيخ ولاد عزام ويتم الاتفاق على ان يدفع الداودة والحنانشة الضريبة الزمة على ان تعاد مراكز الصيد المرجان الفرنسية لعملها وطالبة لحنانشة باعادة بناء مما اضطر الداوي الى السماح بإعادة تشييد الباستيور 1640م حتى يتمكن من القضاء على الثورة وإخمادها.

حاول العثمانيون في صيف 1639م القضاء على الثورة، وعاد علي باشا (1637م- 1639م) إرسال جيش آخر، وخرج بنفسه ضد خالد بن محمد بن علي، وقتل خلال المعركة القائد والخوجة، وانهم قائد القوة العثمانية يوسف، الباي مراد بالخيانة. استمرت الثورة بالشرق الجزائري متأججة ومعززة بثورة القبائل الكبرى. فتوسط الأعيان أيضا بشيخ أولاد عزام ليصلح ذات البين، وتم الاتفاق على أن يدفع الداودة والحنانشة ضريبة الزمة، على أن تُعاد مراكز صيد المرجان الفرنسية لعملها على أساس أنها مصدر مهم للنشاط التجاري الخارجي في البايلك. وطالبت الحنانشة بإعادة بناء الحصن، ما اضطر الداوي إلى السماح بإعادة تشييد الباستيون سنة 1640م، حتى يتمكن من القضاء على الثورة وإخمادها. ولم تثبت الحكومة حينئذ في منح امتيازات جديدة لشركة فرنسية مرسيلية، سرحت فيها للشركة بإقامة منشآت لحماية أموالها وأفرادها<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - احمد بن مبارك العطار ، تاريخ بلد قسنطينة ، ت ح ت ع ت ق ، عبد الل الحمادي ، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة ، ص125.

وعندما أرسل الباشا جيشا لمحاربة الثوار، كان تعرض له القبائل، وحوصر في سفوح منطقتهم، وكادت الفرقة تهلك لنفاذ الماء والأكل. فتدخل مرابط من المنطقة لإنقاذ الجنود العثمانيين، الذين اضطروا للنزول عند شروط الثوار، وهي:

عدم مطالبة العثمانيين بالضرائب السابقة.

العودة للجزائر دون الالتفات للوراء.

السماح بإعادة بناء الباستيون لنعود العمليات التجارية والمال، حتى تتمكن القبائل من دفع الضريبة.

وهذا يعني أن نفوذ الأحرار وابن الصحري وصل حتى أقصى غرب البايك، وأنه كان مدافعا عن سكان القبائل، وأن تهديم الباستيون تسبب في مشاكل لسكان منطقة شاسعة<sup>2</sup>. عاد الجيش للجزائر برأسه المراتب، قائلًا أن لم يتعرض له فهو عدو الله ورسوله. لكن جزاء هذا المراتب بعد وصوله... وبقيت المنطقة الجنوبية والغربية لبايك الشرق، ولمدة سنوات تحت حكم أحمد بن... المنطقة عاشت فوضى الفقراء وتناقصهم.

ولكن الثورة استمرت. وقد جدّ يوسف باشا بذل كل الوسائل للقضاء عليها كما كاتبته سنة 1641م لمراتب بونة محمد ساسي البوني (توفي بعد 1641م) لأهل الرأي والعلماء وطلب مساعدتهم، وتهديد المنشقين بالويل والثبور<sup>1</sup>.

لكنه رجع بعد عام منكسرا فتمردت المليشيا عليه وخلفه محمد بورصالي باشا (1642-1644م)<sup>2</sup>. وعاد الخروج لنفس السبب أبو جمال يوسف نحو الشرق في عهده الثالثة (1647-1650م)<sup>3</sup>. لكن تمكن من القضاء على الثورة. وتمكن من القضاء على الثورة لكن في المناطق الخاضعة فقط.

استمرت الثورة طيلة عهد الأغوات، حيث رفض سكان الشرق دفع الضريبة، وكانت منطقة القبائل لا تعترف إلا بسلطة الأمير أحمد بن أحمد الذي كان يقن في تامغوت، من

<sup>1</sup> - جميلة معاشي ، الاسر المحلية الحاكمة في بايك الشرق الجزائري ، مرجع سابق ، ص 281.

منصب السياق إلى بجاية. وحسب مرسية Mercier ، انتهت الثورة في عهد فرحات باي (1647-1653م) بن مراد باي، السابق ذكره، وعادت المعاملات التجارية. حيث حمل الباي سنة 1653م الدنوش للجزائر، وهي الضرائب التي دفعها كبار الشيوخ. لكن يذكر مرسية Mercier أيضاً، أن باي الشرق حسين بوقمية (1713-1736م) هاجم سنة 1724م الحنانشة، وضم منهم 8 آلاف رأس ماشية، وكان الشيخ بوعزيز بن ناصر، شيخ قبيلة الحنانشة بسوق اهراس، على وشك الاستسلام لجيوش باي قسنطينة حسين بوقمية وحليفه باي تونس، دب القتل في الرجال سنة 1724م، وذلك بعدما انهزموا أمام رجال باي تونس .

### المطلب الثالث: موقف الساكنة من الإدارة العثمانية

ففي الوقت الذي رأت فيها رمزاً للخلافة الإسلامية والضامن للأمن العام والقضاء الشرعي في مواجهة الفوضى، كانت تراها ميداناً كآلة جباية قهرية تستنزف الأرزاق بقوة السلاح. وعكست هذه الثنائية التناقض بين الخطاب الإيديولوجي للدولة والممارسة الميدانية لعمّالها<sup>1</sup> مثّلت الهجرة الجماعية فراراً من الأوطان المثقلة بالضرائب نحو المرتفعات المستعصية أو تخوم الصحراء شكلاً من أشكال الاحتجاج السلبي الفعّال. وأدت هذه الهجرات إلى إخلاء قرى بأكملها وتراجع المداخل الجبائية للبايلك، مما كان يدفع الإدارة إما إلى ملاحقة الفارين عسكرياً أو تقديم تنازلات مالية لإغرائهم بالعودة لإعمار الأرض التمس بعض الرعايا والأعيان أحكام القضاء الشرعي للطعن في قانونية بعض المكوس والضرائب المحدثّة التي لا تجد لها سنداً في الفقه الإسلامي. وشكّلت الفتاوى الصادرة عن بعض المفتين المالكية والحنفية في قسنطينة، والتي تُدين التجاوزات الجبائية وتصفها بـ "المظالم"، غطاءً شرعياً قيّد يدي الإدارة وصعّب عليها تجاهل التظلمات كلياً<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جهيدة بوعزيز ، المرجع السابق ص170.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، الملكية والجباية، ص334

تُثبت القراءات الحديثة أن رابطة الولاء بين الساكنة والبايك لم تكن خضوعاً مطلقاً ولا رفضاً كلياً، بل كانت عملية تفاوضية يومية ومستمرة. فكانت القبائل تتبنى إستراتيجيات مرنة؛ تلتزم بالسداد في مواسم الوفرة والخصب، وتماطل وتتاور في سنوات الشح، وتقدم الولاء الرمزي عند مرور فيلق المحلّة لتستعيد استقلاليتها الميدانية فور ابتعاده<sup>1</sup>

#### رابعاً: الجباية وإعادة تشكيل البنية الاجتماعية

أفرزت البنية الضريبية حراكاً اجتماعياً أدى إلى صعود نخب ارتبطت ثروتها ومكانتها العائلية بمدى اندماجها في المنظومة الجبائية للدولة؛ فالقاييد الذي أظهر كفاءة وراعية في استخلاص المقاطعات المالية كان يُكافأ بتوسيع نفوذه الجغرافي، والتاجر الملتزم الذي ضمن تدفق السيولة للخزينة تحول إلى شريك مالي للباي. وتشكلت من هؤلاء طبقة وسطى إدارية وتجارية التقت مصالحها البنيوية مع بقاء واستمرار منظومة الحكم

انعكس الضغط الضريبي على العائلات الممتدة والبيوت الكبيرة تُشكل في نظر الشيخ والقاييد وعاءً ضريبياً أسهل للرصد والتحصيل، مما دفع بعض الأسر إلى تبني إستراتيجيات تفتيت ظاهري لوحداتها الإنتاجية أو تقليص الأنشطة التجارية المعلنة. كما أدت الهجرات الطارئة الناتجة عن ملاحقات المتأخرات إلى تشتيت بعض العشائر وإعادة توزيع الخريطة السكانية بين التل والمنطقة الصحراوية<sup>2</sup>.

على مستوى أعمق، أسهمت تجارب المعاناة المشتركة والمقاومة الجماعية لحملات الجباية القسرية في صهر العصبية الصغيرة وتوليد تضامانات قبلية أوسع؛ فكان الدفاع المشترك ضد عساكر الأوجاق يتجاوز الخلافات العائلية الضيقة، ويحفر في الذاكرة الجمعية للأعراس منظومة من الأمثال والأشعار الشعبية التي مجّدت الإفلات من الضريبة واعتبرته رمزاً للشرف والأنفة، مما أسهم في صياغة الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جهيدة بوعزيز ، مرجع سابق ، ص170.

<sup>2</sup> عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ص125.

<sup>3</sup> نصر الدين سعيديوني ، مرجع سابق ، ص144.



خاتمة

## خاتمة:

نأتي على بركة الله الى ختام موضوعنا الذي تحدث عن محلات جمع الضرائب في الجزائر العثمانية وأثرها على الساكنة ( بايلك الشرق أنموذجا )

في ختام هذه الدراسة توصلت الى النتائج الآتية:

ان بايلك الشرق شكل أحد أهم الأقاليم الادارية في الجزائر خلال العهد العثماني بما تميز به من موقع استراتيجي وأهميته الاقتصادية والسياسية وقد ساهم تنظيمه الاداري والمالي في تعزيز سلطة الدولة كما لعب دورا محوريا في جباية الضرائب وحفظ الأمن وتنظيم العلاقة بين السلطة المركزية والقبائل ، كما ظهرت الدراسة أن السياسات الجبائية رغم أهميتها في تمويل الدولة كان لها اثر واضح على سكان بايلك الشرق ، حيث تفاوتت انعكاساتها بين الاستقرار في بعض الفترات وظهور التذمر ومقاومة في فترات أخرى نتيجة الثقل الاعباء الضريبية. تمثل خزينة الدولة في فترة العثمانية الادارية المالية المركزية حيث كانت لها ادوار واسعة في السلطة غير المحافظة على اموال الخزينة وتسييرها.

ازدادت موارد الخزينة في نهاية القرن 18 بشكل كبير بسبب تنوع مداخلها وحكومتها الراشدة ووجود مداخل أعلى بكثير من مصاريفها من الدانوش الضرائب. ان استخدام نظام المحلة من طرف السلطة العثمانية في الالة الجزائر لم تكن وليدت الحاجة فحسب بل للنتائج التي كانت تحققها على جميع الاصعدة وظهور نتائجها واثبات جدارتها.

برزت المحلة كمؤسسة عسكرية متقلة أكلت لها عدت مهام أهمها جباية الضرائب ، حيث اثبتت جدارتها خلال الفترة العثمانية ، ومن الناحية العسكرية فرض سلطتها على التمردات والثورات ومراقبة الاسواق وانتعاش الاقتصاد.

مساهمة المحلة في توزيع حدود الدولة وفرض الامن في البلاد وابرار كيانها وهيبتها على الصعيد الداخلي والخارجي.

من أهم الاسباب التي جعلت المحلة تخوض في عدت ثورات وتداخل مع القبائل هي

امتناع الافراد او الجماعات عن أداء ما يلزمها من ضرائب.

تعتبر المحلة في بايلك الشرق المسيرة والموجهة للاقتصاد الايالة في الفترة العثمانية  
اضافة الى استمرارها بسبب انتاجها.

تنوع الضرائب بحسب الأنشطة الاقتصادية السائدة وطبيعة المناطق الخاضعة للجباية ،  
غير ان آثارها لم تكن واحدة على جميع فئات المجتمع ، اذ ساهمت في توفير الدولة من جهة  
، لكنها أثقلت كاهل السكان خاصة الفلاحين وقد أدى في بعض الأحيان الى ظهور حالات  
تضرر ومقاومة والامتناع عن دفع الضرائب.

ملاحق

## الملاحق والوثائق التاريخية

الملحق رقم 01: الخريطة الإدارية لبائلك الشرق



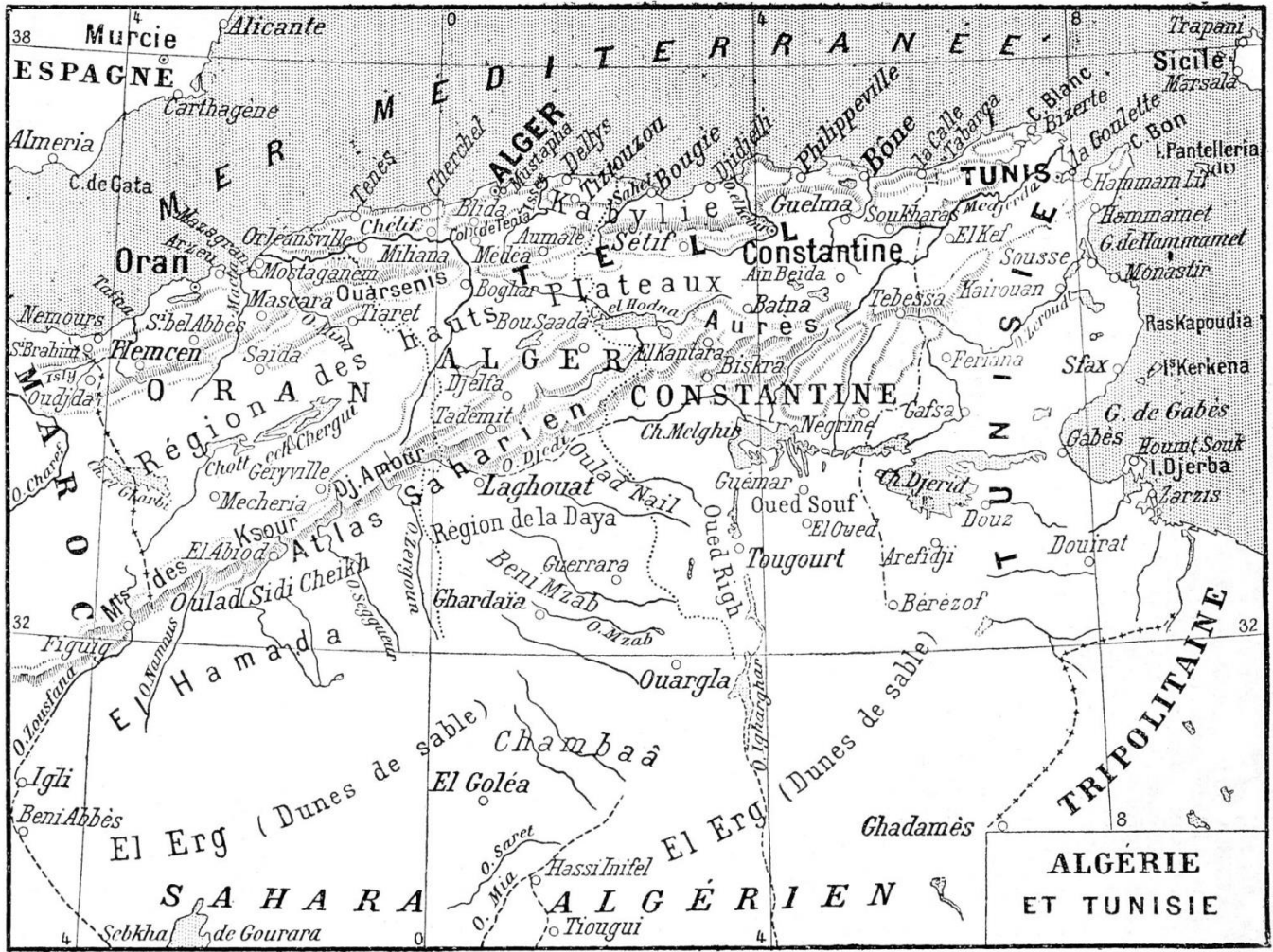
المصدر: Wikipédia. خريطة حدود بايلك الشرق السياسية والإدارية

الملحق رقم 02: خريطة مسالك المحلة والخطات الجبائية



المصدر: ilbusca / Getty Images. خريطة المسالك الجغرافية والممرات لإقليم قسنطينة

الملحق رقم 03: الخريطة الإثنوغرافية لتوزيع القبائل (الرعية والمخزن)



المصدر: Timacoch / Getty Images. خريطة المجالات القبلية والاتحادات العشائرية في بايلك الشرق

الملحق رقم 04: جدول بايات بايلك الشرق في القرن الثامن عشر

| اسم الباى       | فترة الحكم | أبرز الأحداث الجبائية         |
|-----------------|------------|-------------------------------|
| حسين باي        | 1713-1736  | إعادة تنظيم أوطان الجبائية    |
| إبراهيم باي     | 1736-1754  | توسيع نظام الالتزام           |
| محمد الكبير باي | 1754-1770  | تعزيز قبائل المخزن            |
| صالح باي        | 1771-1792  | ذروة التنظيم الجبائي والإداري |
| حسن باي         | 1792-1795  | اضطرابات جبائية في الأوراس    |
| علي باي قره     | 1795-1807  | إصلاحات جزئية في المحلة       |
| أحمد باي        | 1826-1837  | آخر بايات قسنطينة             |

الملحق رقم 06 :مسرد المصطلحات

| المصطلح  | التعريف                                     |
|----------|---------------------------------------------|
| البايلك  | الوحدة الإدارية الكبرى في الجزائر العثمانية |
| الباي    | حاكم البايلك المعين من قبل الداى            |
| الداي    | الحاكم الأعلى للجزائر العثمانية             |
| المحلة   | الحملة العسكرية الإدارية لتحصيل الضرائب     |
| القايد   | الوطن مستوى على إداري مسؤول                 |
| الأمين   | والحرفة السوق مستوى على المالي المسؤول      |
| الخوجة   | المالية السجلات ومسؤول الديوان كاتب         |
| الوطن    | البايلك داخل الأصغر الإدارية الوحدة         |
| الالتزام | ثالث لطرف الجباية حق منح نظام               |
| المخزن   | الضرائب من المعفاة الموالية القبائل         |
| الصرة    | الداي إلى الباى يُرسله الذي السنوي المبلغ   |
| العُشر   | المحصول عُشر بمقدار زراعية ضريبة            |
| الخراج   | الزراعية الأرض على ضريبة                    |
| المكوس   | والأسواق التجارة على رسوم                   |
| الفارقة  | المتأخرين على عقابية مالية غرامة            |
| المجاين  | المُحصلة الحبوب تخزين مستودعات              |

# قائمة المراجع

أولاً: المصادر الأولية

أ — المصادر العربية

القرآن الكريم

1. ابن العنثري، محمد الصالح. فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة. تحقيق: يحيى بوعزيز. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
2. بن المنظور، لسان العرب، ط ج، تحقيق عبد الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر
3. عثمان حمدان بن خوجة، محمد. المرأة، تق، تع، تح، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.
4. وليام شاعر، مذكرات وليام شاعر، قنصل أمريكا في الجزائر، 1816-1824، تعريب، تعليق، تقديم اسماعيل العربي.

قائمة المراجع:

1. احمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب الأشرف في الجزائر 1774-1830، تحقيق احمد توفيق المدني.
2. بحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962، البصائر، الجزائر 2008.
3. بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري 1871-1837م، 1185-1253. رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة 2011-2012.
4. الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت 1980..
5. زينب الجعيني، ثورة بن الاحرش في بايلك الشرق 1800-1807
6. سعيدوني ناصر الدين. الحياة في الريف في اقليم مدينة الجزائر، دار السلطان أواخر العهد العثماني، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
7. سعيدوني ناصر الدين. دراسات في الملكية والوقف والجباية في الجزائر في العهد العثماني. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
8. القشاعي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، رسالة ماجستير 2009-2010.
9. المريني أحمد عبد العزيز، الموارد المالية في الاسلام، ذات السلاسل للنشر والتوزيع، الكويت

..1994

10. معاشي جميلة ، الانكشارية والمجتمع ، بايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم في التاريخ الحديث 2007-2008.
11. سيساوي احمد ، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسيين من فالي إلى نابليون 1838- 1871 رسالة دكتوراه فب التاريخ الحديث والمعاصر جامعة قسنطينة 2013/2014
12. نواره نجاة الإدارة المحلية في بايلك قسنطينة (1528-1830)، رسالة ماجستير 2018-2019، جامعة المسيلة،
13. معاشي جميلة الأسر الحاكمة، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن (10 هجري- 16 م إلى 13 هـ - 19 م)، دار المطبوعات الجامعية ،جامعة قسنطينة،2014
14. فركوس صالح ، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفتيقيين إلى خروج الفرنسيين 814، ق/ م-1962 دار العوم عنابة 2002،
15. بن زرّة توفيق الجزائر في القرن الثامن عشر من خلال " .الأرشيف الوطني التونسي ألفا للوثائق تر استيراد توزيع مسطبة 2021
16. قشوان عبد الرزاق، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة ، 936/ 1253هـ - 1592/1837م، مذكرة ماجستير في التريخ الحديث، جامعة الجزائر 2 ، 2009/2010،
17. العروق محمد الهادي، مدينة قسنطينة ، دراسة في جغرافيا العمران ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984،
18. السليمانى احمد ، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، داي حلب ، الجزائر، 1993،
19. غطاس عائشة ، الدولة الجزائرية ومؤسساتها ، ط خ منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ، الجزائر ، 2007 ، .
20. مؤيد حمد محمود المشهداني ورمضان سلوان رشيد ، أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1815-1830 م ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، ع 16 جامعة تكرت ، الجزائر ، 2013 ، .
21. شاكر وليام ، مذكرات وليام شاكر ، قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 ، تعليق وتقديم اسماعيل العربي ، .
22. عبد العزيز احمد المدني ، الموارد المالية في الاسلام ، ذات السلاسل للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1994 ،
23. محمود محمد الحويري ، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، ط1 ، المكتب المصري

لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، مصر 2002

24. فركوس صالح ، الحاج أحمد باي ، قسنطينة 1826-1850 م ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2009

25. قطوش اسيا ، الثورات المحلية في الجزائر من خلال المجلة الافريقية اثناء العهد العثماني ، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ كلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة المسيلة ، 2004

26. الحنفي هلايلي ، التطور السياسي والعسكري للجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية ، مجلة الحوار المتوسطي ، ع1 ، جامعة بلعباس 2018

27. الملي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الجزء 3، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر 1964

28. عقاد سعاد الفلاحون الجزائريون و السلطة العثمانية في الجزائر 1519\ 1830 دار السلطان مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحديث والمعاصر جامعة وهران 2024

29. حماش خليفة ، الاسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة مونتوري ، قسنطينة ، الجزائر 2006

30. بن مبارك احمد العطار ، تاريخ بلد قسنطينة ، ت ح ت ع ق ، عبد الل الحمادي ، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة

31. هلايلي الحنفي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، دار الهومي ، الجزائر 2008.

32. سيدهم فاطمة الزهراء موارد ايالة الجزائر المالية في مطلع القرن التاسع عشر دورية كان

التاريخية العدد الثالث عشر 2011

33. شلبي شهرزاد: المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني المؤسسات المالية

نموذج(1798\_1830) اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية فيك التاريخ وعلم الآثار جامعة باتنة 2018\_2019

34. بونويقة عبد الحميد / احمد شبيرة التحصيل الضريبي في الجزائر خلال العهد العثماني بأهلك الشرق

أنموذجا مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث 2024

1. **Grammont, H. D. de.** (1887). *Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)*. Paris: Ernest Leroux.

## فهرس المحتويات

|                                                                         |    |
|-------------------------------------------------------------------------|----|
| إهداء .....                                                             |    |
| شكر وعرفان .....                                                        |    |
| قائمة الاختصارات .....                                                  |    |
| مقدمة .....                                                             | أ. |
| الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي والإداري لبايك الشرق.....               | 6  |
| المبحث الاول : المجال الجغرافي والاقتصادي لبايك الشرق.....              | 7  |
| المطلب الاول : الموقع الجغرافي وحدود بايك الشرق.....                    | 7  |
| المطلب الثاني : الخصائص الطبيعية وآثارها في النشاط الاقتصادي .....      | 8  |
| المطلب الثالث : الموارد الزراعية والتجارية.....                         | 10 |
| المبحث الثاني : التنظيم الاداري والسياسي لبالك الشرق.....               | 14 |
| المطلب الاول : نشأة بايك الشرق وتطوره التاريخي.....                     | 14 |
| المطلب الثاني : منصب باي وصلاحيته .....                                 | 14 |
| المطلب الثالث : الجهاز الإداري والمالي.....                             | 16 |
| المطلب الرابع : العلاقة بين بايك الشرق والسلطة المركزية في الجزائر..... | 18 |
| الفصل الاول: تشكيل المحلة وعناصرها.....                                 | 21 |
| المبحث الاول : تعريف المحلة وتنظيماتها.....                             | 22 |
| المطلب الاول : تعريفها وتنظيماتها .....                                 | 18 |
| المطلب الثاني : النشأة والتطور التاريخي للمحلة في بايك الشرق.....       | 23 |
| المبحث الثاني: أنواع المحلة وعناصرها .....                              | 24 |
| المطلب الاول : أنواعها .....                                            | 24 |
| المطلب الثاني : عناصرها .....                                           | 25 |
| الفصل الثاني النظام الضريبي في بايك الشرق.....                          | 33 |
| المبحث الاول : أنواع الضرائب المطبقة في بايك الشرق.....                 | 34 |
| المطلب الأول : الضرائب الشرعية .....                                    | 34 |

|          |                                                        |
|----------|--------------------------------------------------------|
| 38.....  | المطلب الثاني: الضرائب المستحدثة.....                  |
| 41.....  | المبحث الثاني: الضرائب في المدينة والريف .....         |
| 41.....  | المطلب الأول : الضرائب في المدينة.....                 |
| 42.....  | المطلب الثاني: الضرائب في الريف.....                   |
| 44.....  | الفصل الثالث انعكاسات النظام الضريبي.....              |
| 45.....  | المبحث الأول : الآثار الاقتصادية.....                  |
| 45.....  | المطلب الأول : تأثير الضرائب على الفلاحة .....         |
| 46.....  | المطلب الثاني : تأثير الضرائب على التجارة.....         |
| 47.....  | المطلب الثالث: دور الضرائب في تمويل البايك.....        |
| 47.....  | المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية والسياسية .....       |
| 47.....  | المطلب الاول : أوضاع الفلاحين والقبائل.....            |
| 48.....  | المطلب الثاني: التمردات والثورات الضريبية .....        |
| 54.....  | المطلب الثالث: موقف الساكنة من الإدارة العثمانية ..... |
| 58 ..... | خاتمة .....                                            |
| 60 ..... | الملاحق والخرائط.....                                  |
| 67 ..... | قائمة المصادر والمراجع .....                           |
| .....    | فهرس المحتويات .....                                   |

## ملخص الدراسة :

هدف هذه الدراسة إلى إبراز دور حملات جمع الضرائب (المحلات) في بايلك الشرق خلال العهد العثماني، وبيان أثرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان. وتتناول تنظيم النظام الجبائي، وأنواع الضرائب المفروضة، وكيفية انتقال حملات الجباية عبر المناطق، إضافة إلى دور الباي وأعوانه في تحصيل الموارد المالية المخصصة لخزينة الدولة.

كما تسعى الدراسة إلى تحليل انعكاسات هذه الحملات على السكان، من حيث الأعباء المالية، وتأثيرها في النشاط الفلاحي والتجاري، وما نتج عنها من هجرات أو مقاومة أو تدمير في بعض المناطق. وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر والمراجع المتخصصة في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، بهدف تقديم صورة واضحة عن العلاقة بين الإدارة العثمانية وسكان بايلك الشرق في المجال الجبائي.

وتخلص الدراسة إلى أن حملات جمع الضرائب كانت ركيزة أساسية لتمويل الإدارة العثمانية، لكنها تركت آثارًا اقتصادية واجتماعية متفاوتة على السكان، تأثرت بظروف كل منطقة وبطريقة تطبيق الجباية من طرف القائمين عليها.

إذا كان هذا الملخص مخصصًا لمذكرة ماستر، فأستطيع أيضًا إعداد بد إشكالية، فرضيات، أهداف الدراسة، وخاتمة بصياغة أكاديمية متكاملة.

**الكلمات المفتاحية :** بايلك الشرق، المحلة، الضرائب، الجزائر العثمانية

## Abstract :

This study aims to examine the tax collection campaigns (Mahallas) in the Eastern Beylik during the Ottoman period and to analyze their impact on the local population. It focuses on the organization of the taxation system, the different types of taxes imposed, the movement of tax collection campaigns across various regions, and the role of the Bey and his officials in collecting revenues for the state treasury.

The study also analyzes the economic and social consequences of these campaigns on the population, including the financial burden they imposed, their effects on agricultural and commercial activities, and the forms of resistance, migration, or discontent that emerged in some areas. The research adopts a historical and analytical approach, relying on primary and secondary sources related to the history of Algeria during the Ottoman period.

The study concludes that tax collection campaigns constituted a fundamental source of revenue for the Ottoman administration...

**Keywords:** Beylik of the East, \*Mahalla\*, taxes, Ottoman Algeria.